

الققعاق بن عمرو التميمي ودوره في فتوحات الشام بين التاريخ وشعره قراءة جديدة

د. حسن محمد الربابعة *

د. محمد سالم الطراونة **

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الققعاق في فتوحات بلاد الشام من خلال شعره والتاريخ.

ولعل من أبرز نتائج هذه الدراسة أن تجلي تعيين محور حركة المسلمين من العراق إلى بلاد الشام مفوزين من قراقر إلى سوى، وتحديد مدناً مفتوحة، وبشعره صحننا دراسات تاريخية قديمة وحديثة عزف الدارسون عنها؛ ربما لجهلهم بها أو تجاهلهم لها.

* قسم اللغة العربية - جامعة مؤتة - الكرك - الأردن.

** قسم التاريخ - جامعة مؤتة - الكرك - الأردن.

"Al-Qa'qa' Ibn "Amr Al-Tamimi & his Role in the Conquest of "Bilad-al-Sham" as it is Deduced from his Poetry and History: "A New Study"

Abstract

This study aims at focusing on the role of Al-Qa'qa' in the conquest of "Bilad-al-Sham" as it is gathered from his poetry and history.

The most prominent result of this study appears in denoting the axis of Muslim movement from Iraq to "Bilad-al-Sham" headed from Qaraqir toward Suwa. Also, in his demoting of conquered cities, and thanks to his poetry we were be able to correct some old and new historical studies that were abandoned by scholars, probably either due to their ignorance in them or to their over-looking them.

1. مقدمة

ما إن تلقى خالد بن الوليد أمر الصديق ﷺ قائداً عاماً على المسلمين في بلاد الشام بعد أن انجز مهمته في الحيرة، حتى صدع للأمر واستبقى مع المثنى بن حارثة الشيباني نحو تسعة آلاف مجاهد، مناصفة، فأرضى المثنى بذلك وتحرك بتسعة آلاف مجاهد من العراق إلى بلاد الشام.

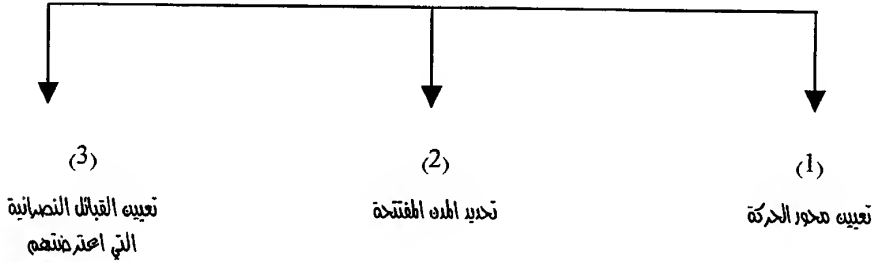
بدأت حركة خالد بن الوليد ومعه القعقاع بن عمرو، من الحيرة - عين التمر - صندوداء - المصيخ - الحصيد - ثم إلى فراقر حيث ودّعه المثنى هناك، وعاد إلى الحيرة، ليبدأ خالد بالحركة منها إلى سوى مفرّزاً بادية الشام على خمس مراحل ليتجنب مواجهة الحاميات الرومية من جهة وللإسراع بإنجاد أبي عبيدة الذي كان بالقرب من اليرموك من جهة أخرى، وقد استعان بخبرة رافع الطائي الذي حدّره من مجاهيل الصحراء، وقسوتها وقلة مياهها، لكن خالداً أصرّ على أن يجتأها على خطورة قلة مائها، وشدة حرّها كان ذلك سنة (13هـ) ثلاث عشرة للهجرة.

سار خالد ومعه القعقاع الذي وصف محور الحركة من فراقر إلى سوى وحدّد القبائل التي اعترضته في محوره، ثم إلى أرك - وكدمة - والسحنة ثم إلى تدمر - القريتين - إلى حواريين - مرج راهط - وثنية العقاب - شمالي دمشق - الباب الشرقي لمدينة دمشق - ثم إلى بصرى ومنها إلى اليرموك كما في شعر القعقاع.

ويبرز دور القعقاع في اليرموك قائداً لكردوس، وصافاً لأحداثها، كما يصف حركات المسلمين في محور حركاتهم، وأبرز المعارك التي خاضها المسلمون ضد الروم والعرب الغساسنة، ويعود المسلمون إلى مرج الصفر جنوبي دمشق ثم إلى الجابية - وإلى دمشق، فحاصروها - ويتناهى إليهم خبر تحشد الروم في بيسان لمهاجمة فحل لتطويق المسلمين، ومنع إمداداتهم من جزيرة العرب، فيتحرك المسلمون بقيادة أبي عبيدة إليها وينتصرون في معركتها المفاجئة، الليلية الموحلة، كما يجليه القعقاع في شعره.

2. دلالات من شعر القعقاع

وقبل أن نتابع حركة مسيرة خالد، وبرُفْقته القعقاعُ من الحيرة إلى الشام علينا أن نستثمر دلالاتٍ أخرى من شعر القعقاع في العراق في هذه المرحلة وهي:



(1)

أمّا تعيينُهُ محورَ الحركة، فكانت من منطقة خاضعة ذليلة، ساكنة حزناً وخوفاً بائسة، ويائسة، منقطعة الرجاء تفيدها كلمة "أباليس"⁽¹⁾، من قوله⁽²⁾:

قطعنا أباليسَ البلادِ بخيلنا ثريدُ سُوى من آبداتِ فُراقِر

ثم هاهو يحدّدُ محورَ الحركة من فُراقِر إلى سُوى الشام كما تجليه خريطة مرفقة⁽³⁾.

(2)

ويحدّدُ أبرزَ المدن التي فُتِحَتْ في أثناء حركتهم من الحيرة إلى بلاد الشام وهي المصَيِّخ، إذ انهزم حُماتها ومن تحالفوا معهم ضدّ المسلمين، وهرب عمال النخل وإصلاحه، وفروا من وجه حَمَلَة خالد كالطيور النوافر:

فلما صَبَحْنَا بالمصَيِّخِ أهله وطارَ إِبَارِي⁽⁴⁾ كالطيورِ النَّوَافِرِ

(3)

وها هو يحدّدُ القبائل التي انذِعتْ في طريق حركتهم إلى بلاد الشام، وهي قبيلة بَهْرَاء في المصَيِّخ ثم تابعت مسيرتها إلى الأعاجم في فُراقِر فيقول:

أفاقت بها بَهْرَاء ثم تجاسرت بنا العيسُ نحو الأعجمي الفُراقِر⁽⁵⁾

وَيَقَهُمْ مِنْ قِطْعَةِ الْقَعْقَاعِ هَذِهِ، أَنَّ الْإِبِلَ مِنْ وَسَائِلِ نَقْلِهِمْ، وَوَسِيلَةُ الْحَرْبِ خِيُولُهُمْ عَلَى عَادَاتِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ، كَمَا يَحْدُثُ سَاعَةَ مَدَاهِمَتِهِمُ الْمَصِيخَ صَبَاحًا، وَيَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ وَصْفَهُ لِلْمَصِيخِ فِي حُرُوبِهِمْ هَذِهِ غَيْرُهُ فِي فَتْحِهَا مِنْ قَبْلُ.

ولعلَّ نظرة فاحصة إلى حركة خالد من الحيرة إلى الشام كما يدرجها المؤرخون منهم البلاذري وابن الأثير أن يؤكدَ محورَ حركة خالد بذلك الاتجاه، ذلك أنَّ البلاذري يقول: لَمَّا أَتَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ خَلَفَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ عَلَى نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ، وَسَارَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ (13هـ) ثَلَاثَ عَشْرَةٍ لِلْهِجْرَةِ فِي (300) ثَلَاثُمِائَةٍ وَيُقَالُ فِي (600) سِتْمِائَةٍ وَيُقَالُ فِي خَمْسِمِائَةٍ فَأَتَى عَيْنَ التَّمْرِ وَسَارَ مِنْهَا إِلَى صَنْدُودَاءَ وَبِهَا قَوْمٌ مِنْ كِنْدَةَ وَإِيَادَ وَالْعَجَمُ فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا، وَبَلَغَ خَالِدًا أَنَّ جَمْعًا لِبَنِي تَغْلِبَ بْنِ وَائِلَ بِالْمَصِيخِ مَرْتَدِّينَ عَلَيْهِمْ رَبِيعَةَ بْنِ جَبْرِ فَأَتَاهُمْ فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ فَسَبَى وَغَنَمَ ثُمَّ أَغَارَ عَلَى فُرَاقِرَ وَهُوَ مَاءٌ لَكَلَبَ ثُمَّ فَوَّزَ مِنْهُ إِلَى سُوًى وَهُوَ مَاءٌ لَكَلَبَ أَيْضًا⁽⁶⁾.

وَأَمَّا ابْنُ الْأَثِيرِ فَذَكَرَ رِوَايَةَ كُرَوَايَةَ الْبَلَاذَرِيِّ، بِأَنَّهُ عَدَدَ مَا اصْطَحَبَهُ خَالِدٌ مِنَ الْجُنْدِ كَانَ ثَمَانِمِائَةً أَوْ سِتْمِائَةً أَوْ تِسْعَةَ آلَافٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ، وَذَكَرَ أَنَّ خَالِدًا أَتَى حَدُودًا [صَنْدُودَاءَ]⁽⁷⁾. ثُمَّ أَتَى الْمَصِيخَ وَبِهِ جَمْعٌ مِنْ تَغْلِبَ، فَقَاتَلَهُمْ وَظَفَرَ بِهِمْ وَغَنَمَ، وَكَانَ مِنْ سَبَبِهِمُ الصُّهْبَاءُ بِنْتُ حَبِيبَ بْنِ جَبْرِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ عَمْرًا، وَفَوَّزَ مِنْ فُرَاقِرَ إِلَى سُوًى⁽⁸⁾، وَإِذَا وَازَنَا بَيْنَ شَعْرِهِ وَالرُّوَامِ رِوَايَاتُ التَّارِيخِيَةِ نَجِدُ شَعْرَهُ أَدَقَّ لِأَنَّهُ عَاصِرُ الْأَحْدَاثِ وَرَافِقُ الْحَمَلَةِ، وَرَسْمُهَا بِشَعْرِهِ، فَجَلَّى الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَالشَّخْصَ وَنَتَائِجَ الْحَمَلَةِ وَحَدَدَ الْحَرَكَةِ مِنْ فُرَاقِرَ إِلَى سُوًى.

وقبل أن نمضي مع خالد ومعه القعقاع بن عمرو في حركتهما من الحيرة إلى الشام بناءً على أوامر الصَّدِّيقِ لَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الَّذِي اخْتَارَهُ بَعْنَايَةً فَائِظَةً قَائِلًا لِمَنْ سَمِعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، بَعْدَ أَنْ اسْتَجَدَّ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ بِهِ، لِإِنْجَادِهِ، وَقَدْ السَّامَ الرُّومَ بَعْشَرَاتِ الْأُلُوفِ عَلَيْهِ قَالَ "وَاللَّهِ لِلْأَنْسِيِّنَ الرُّومَ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ"⁽⁹⁾، قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَصَحَّحَ مِنَ الرُّوَايَاتِ التَّارِيخِيَةِ الَّتِي أَدْرَجَهَا كُلُّ مَنْ الْبَلَاذَرِيِّ⁽¹⁰⁾، وَابْنُ الْأَثِيرِ⁽¹¹⁾، وَيَاقُوتُ الْحَمَوِيِّ، ذَلِكَ أَنَّ الْبَلَاذَرِيَّ أَدْرَجَ الْمَضِيخَ بَدَلَ الْمَصِيخِ وَلَعَلَّه تَصْحِيفٌ، وَابْنُ الْأَثِيرِ ذَكَرَ حَدُودَاءَ لَا صَنْدُودَاءَ مَكَانَ تَحْرُكٍ إِلَيْهِ خَالِدٌ وَمِنْهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ، كَمَا وَقَعَ تَصْحِيفٌ فِي تَحْدِيدِ الْحَمَوِيِّ⁽¹²⁾، لِمَعْرَكَةِ الْحَصِيدِ سَنَةَ 13هـ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَالصُّوَابِ سَنَةَ (12) اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرَكَةَ الْفِرَاضِ كَانَتْ بَعْدَهَا وَآخِرَ انْتِصَارَاتِ خَالِدٍ بِهَا مَعَ الرُّومِ وَالْفَرَسِ فِي الْعِرَاقِ كَانَتْ يَوْمَ 10 ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ 12هـ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي سَاقَةِ جَيْشِهِ بِسْرِيَّةً، ثُمَّ أَدَّى مَنَاسِكَ الْحَجِّ فِي عَرَفَةَ، وَعَاقِبَهُ الصَّدِّيقُ

في رسالة إليه، متعجباً من جرأته ومخالفة الأوامر، بقوله له: "وإياك أن تعودَ لمثل ما فعلت، فإنه لم يُشجَّ الجموعُ من الناس بعون الله شجأك... فليهنك - ابا سليمان. النية والخطوة فأنتم يتمم الله لك، ولا يدخلنك العُجبُ فتخسرَ وتخذلَ، وإياك أن تُدِلَّ بعمل، فإن الله - عزَّ وجلَّ - له المنُّ وهو ولي الجزاء" (13).

لقد خرج خالد في شطر المسلمين وخلف الشطر الثاني للمثني بن حارثة بناءً على أمر الصديق له في ختام رسالته إليه، فإذا فتح الله عليكم فاردهم إلى العراق، وأنت معهم ثم أنت على عمك" (14). وعلى ذلك فيقتَرُ جيش خالد إلى الشام معه بتسعة آلاف مجاهد، وليس كما يذكر بعض المؤرخين كالبلاذري وابن الأثير بأن خالدًا خرج من الحيرة في ثمانمائة ويقال في ستمائة ويقال في خمسمائة (15).

سار خالد بنصف الجيش بعد أن أرضى المثني بنصفه الآخر من الحيرة عين التمر ثم إلى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم، فقاتله أهلها، وخلف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري، وسار إلى المصيخ فغلب بها جمعاً من بني تغلب بن وائل ثم واصل إلى الحصيد، وقد ارتد سكاؤها عليهم ربيعة بن بجير فهزمهم وسبى وغنم وبعث بالسبي إلى الصديق (16).

لقد كان المثني بن حارثة يودّع خالدًا وجيشه حتى وصل معه إلى ثراقر (17)، وهي ماء لكلب (18) أغار عليها خالد، وفي ثراقر استشار صحبه أي الطريق يسلكه؟ ليحقق مهمته التي أمر بتتفيذها التي تعتمد المفاجأة والسرعة، وتجنباً الاصطدام بحاميات الروم، ليتمكن من الوصول سالماً بقواته، إلى ساح اليرموك، حيث ينتظره أمين الأمة ليُسَلِّمَهُ راية القيادة بناءً على أوامر الصديق رضي الله عنه.

دعا خالد لعقد مجلس حرب لاختيار المقرب إلى الشام، لإنجاز المهمة بسرعة ومفاجأة، وقلة خسائر على أن أمامه طريقين، يوفران له الماء، ويصطدم بحاميات الروم، ولا يحققان له المفاجأة: أولهما طريق جنوبي يمر عبر دومة الجندل (الجوف) باتجاه الشمال وهو طريق تجاري قديم معروف. وسهل ويوجد فيه كثير من المياه على امتداد، ولكنه طريق طويل.

وثانيهما: طريق شمالي يمتد على طول نهر الفرات من الفراض (القائم) إلى شمالي شرقي بلاد الشام، وهو جيد ويتوافر الماء فيه لكنه يبعده عن الاشتراك في حومة الوغى بالسرعة المقررة، كما أن الحاميات الرومية تؤخر مسيره المستعجل (19).

فلا بد لخالد إذن من أن يختار طريقاً آخر يقطع الفيافي بمدة أقل، ويحقق المفاجأة ولا يصطدم بقوات الروم وحامياتها، وإن كان الماء يشكّل عند خالد معوقاً يجب درسه وبغناية، وإيجاد وسائل لحل معضلته فالمسافة من ثراقر إلى سوى

حوالي ثمانين مراحل، تعادل (400) أربعمئة كيلومتر، والزمن صيفي حار في حزيران سنة 634م والأرض صحراوية لهابة، لا ترحم السالك فيها نهرا فتلذعه بسياطها اللاهبة، وبلدغتها القرور ليلا.

طرح خالد سؤاله على قادة الحرب عنده غير مرة: "كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبسني عن غياث المسلمين؟" (20).

فأعلمه رافع بن عمير الطائي عن طريق صحراوي، قل من يسلكه من الناس، يقطع منه الصُّحارى من فُراقِر إلى ما قبل سُوى بمسيرة يوم، حيث ربما يجد ماءً، تلك هي خبرته الشخصية في ذلك الموقع المائي مذكاة فتى قبل ثلاثين عاماً من تاريخه، محذراً خالداً "إنك لا تطيقه بالخيال والأثقال، لأنَّ الراكب المفرد يخشى على نفسه ولا يسلكه، إلا مغرراً، والمسافة بين فُراقِر وسُوى مسيرة خمس ليال جياذ لا يصاب فيها ماء، مع مَضَلَّتْها" (21)، فقال له خالد: "ويحك، إنَّه لا بد لي من ذلك الطريق، لأخرج من وراء جموع الروم، لنلا تحبسنى عن غياث المسلمين" (22).

فأمر خالد قادة جيشه أن يُعطشوا الإبل خمس ليال، ثم تسقى عللاً بعد نهل يصروا آذانها ويشدوا مشافرها لنلا تجتر، ثم ركبوا من فُراقِر، فلما ساروا يوماً وليلة سقوا من الخيل بطون عشرة من الإبل، فمزجوا ماء كروشها بما كان معهم من الألبان وسقوا الإبل، وفعلوا ذلك أربعة أيام، فلما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة، ويحك يا رافع، ما عندك؟ قال له مطمئناً: أدركت الرى إن شاء الله، فلما دنا من جبلين على شكل ثديي امرأة، قال للناس: هل ترون عوسجة كقعدة الرجل، قالوا: لا، قال: إذن هلكنا وهلكت معكم، وكان رافع أرمداً، فقال لهم مرة أخرى: انظروا ويحكم، فنظروا فأروها فقطعت وظل منها بقية، فقال: احفروا تجدوا الماء إن شاء الله، فحفروا فنبع الماء وهلل المسلمون وكبروا فأشاد به شاعر يؤرخ لهذه الحادثة (23):

لله عينا رافع ألى اهتدى فوَزَ من فُراقِر إلى سُوى
خمساً إذا ما ساره الجيش بكى ما سارها قلبك إنس برى

أمّا دور القنقاع بن عمرو، فقد حدّد محور حركة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام من فُراقِر إلى سُوى بقوله (24):

قطعنا بألباس البلاد يخيّلنا نريد سُوى من أبداً فُراقِر

أمّا خالد فأغار على سُوى (25)، بعد أن اجتاز صحراء فُراقِر كما ذكرها القنقاع

بن عمرو، وقضى على كل مقاومة فيها، وكانت سوى أول قرية قرب حدود الشام، وكانت سوى واحة معشبة ترعى فيها قطعان المواشي، فغنمها خالد لإطعام جيشه، وفي اليوم التالي وصل الجيش إلى أرك⁽²⁶⁾، وكانت مدينة محصنة يدافع عنها حامية من النصارى بإمرة قائد رومي، فتحصنوا فيها غير أنهم استسلموا أخذين برأي حكيم عندهم بعد أن سألهم عن صفات خالد الجسدية وعن رأيه السوداء "العقاب" فحذرهم من محاربته لأنه جيش منصور لا محالة⁽²⁷⁾. فاستسلموا للمسلمين بشرط دفع الجزية شرطاً سخياً، وفي اليوم التالي أرسل خالد مجموعتين لإخضاع "السحنة" وكدمة وتعرف اليوم باسم "كديم" كما أرسل رجلاً على جمل ليفتّش عن أبي عبيدة في منطقة الجابية⁽²⁸⁾، ويبلغه بأن يبقى مكانه إلى أن يصل إليه خالد أو يتلقى تعليمات أخرى منه⁽²⁹⁾.

كان خالد بن الوليد يُخضع القرى والمدن التي تعترضه في طريق حركته؛ إذ إن إرساله مجموعتين حربيتين لإخضاع كدمة والسحنة دليل ذلك، وموقعها الجبال التدمرية الشرقية⁽³⁰⁾، فانصاع أهل القريتين (كدمة والسحنة) لشروط الجزية السخية التي قدمت إلى أهل "أرك"⁽³¹⁾، من قبل.

وتقدّم خالد إلى تدمر، فأغلقت حاميها الحصن، فأحاط به المسلمون، وبدأت المفاوضات لتسليم الحصن دونما قتال، فوافق أهل تدمر على دفع الجزية، وإطعام جند المسلمين وإيواء من يمر منهم في تدمر، وقدم زعيم تدمر العربي حصاناً هدية لخالد بن الوليد، استخدمه في معارك جرت في حملته فيما بعد⁽³²⁾.

وسار جيش خالد متابعاً فتوحات من تدمر إلى القريتين⁽³³⁾، جنوبي غربي تدمر، فقاوم أهلها الفاتحين المسلمين، فهزمهم المسلمون ونهبوا مدينتهم، واتجه المسلمون إلى سنير⁽³⁴⁾.

وتابع المسلمون فتوحاتهم إلى بلدة حوَّارين⁽³⁵⁾ على عشرة أميال غربي القريتين وكان بها قطعان كبيرة من الماشية فتعرّضوا للمسلمين، فهزمهم المسلمون ونهبت مدينتهم، ولم تجد فيهم تعزيزات الغساسنة التي قدمت من بصرى لنجدة سكانها.

وتابع خالد فتوحاته من حوَّارين إلى قُصم⁽³⁶⁾، فصالحه بنو مشجعة من قضاة⁽³⁷⁾، وكتب لهم أماناً⁽³⁸⁾.

واتجه خالد في فتوحاته إلى الجهة الجنوبية الغربية باتجاه دمشق إلى مرج راهط⁽³⁹⁾، فأغار على غسان في يوم فصحهم، فسبى وقتل ووجّه خالد بسراً بن أبي أرطاة العامري من قريش، وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق، فأغارا على قرية من قراها⁽⁴⁰⁾، وتابع حملته إلى الثنية، وتسمى ثنية العقاب؛ لأن عقاباً

وقف على راية المسلمين، وهي راية رسول الله ﷺ كانت بيد خالد.

ثم نزل خالد بالباب الشرقي من دمشق، فأخرج له أسقف دمشق نزلًا وخدمه فقال له: احفظ لي هذا العهد فوعده بذلك⁽⁴¹⁾.

وأرسل خالد سرية إلى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال، وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد⁽⁴²⁾، وأرسل خالد رسولا يحمل تعليمات إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في بصرى، وتوجه خالد من شرقي دمشق مع القوة الرئيسية إلى بصرى، متجنباً مدينة دمشق⁽⁴³⁾.

كان أبو عبيدة رضي الله عنه قد احتل منطقة حوران، وكان تحت إمرته ثلاثة ألوية من جيوش المسلمين هي لواء يزيد بن أبي سفيان، ولواء شرحبيل بن حسنة، لكنه لم يكن خاض أية معركة، ولم يستول على أية مدينة، فحاول أن يمهّد الفتوح لخالد بأن يحتلّ بصرى عاصمة مملكة الغساسنة فأرسل لفتحها شرحبيل بن حسنة ومعه أربعة آلاف مجاهد، فاصطدم شرحبيل بقوة تقدر بأثني عشر ألف مقاتل، فما إن ظهر بجنده، حتى انسحبت الحامية إلى المدينة المحصنة؛ ظنا منهم أن هذه القوات على قلتها قياساً بعدد المدافعين عنها، أنها حرس مقدمة فعسكر شرحبيل خارج بصرى من جهتها الغربية، وحاصرها من جميع الجهات لمدة يومين، ولمّا رأى العدو لواء شرحبيل بها لوحده لمدة يومين، قرروا أن يخرجوا من حصنهم ويقاتلوا المسلمين خارج الأسوار، لأنّ خيار السيف كان بعد محادثات شرحبيل مع قائد الروم الذي رفض شروط المسلمين الأخرى.

استمرّ القتال ساعتين، دون أن يحرز أحدهما نصراً على الآخر، وعند الظهر بدا تفوق الروم واضحاً، وأرسل الروم جنودهم فأحاطوا بأجناب المسلمين وازدادت المعارك ضراوة، وزاد الموقف العسكري للمسلمين سوءاً، وتقدم جناح الروم إلى الأمام وبات تطويق المسلمين أمراً مؤكداً، وفجأة لاحظ المسلمون قوة هائلة من الخيالة تعدو بمجموعات كبيرة نحو ميدان المعركة قادمة إليهم من الجهة الشمالية الغربية وقد انطلقت من دمشق قبل ثلاثة أيام نحو بصرى، وكان أمام قوات لهم فارسان يلوحان بسيفهما هما خالد بن الوليد ويرتدي عمامة حمراء، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وقد حملت إليهما الرياح أصداء المعركة.

قطع الروم التماس مع المسلمين، لما رأوا جدة المسلمين بقيادة خالد، وانسحبوا إلى حصنهم، وسأل خالد شرحبيل بن حسنة عن سبب الهجوم، وعدم انتظاره؛ لأن عدد الروم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، فأجابه بأنّ ذلك كان بأمر أمين الأمة، وانتظم الجيشان بترتيب المعركة، خالد بقيادة القلب، ورافع الطائي قائد الجناح الأيمن، وتصادم الجيشان وبرز ضرار بن الأزور عاري الصدر، لأنه تخفّف من

لباسه أولاً وإبرازاً لبسالته في المعارك ثانياً، فأطلق الرُّوم عليه "البطل عاري الصدر" وانسحب الرُّوم إلى الحصن، فحاصروهم المسلمون، وبعد عدة أيام من الحصار والهدوء سَلَّم الحصن بدون قتال بشرط واحد هو دفع الجزية، واستشهد من المسلمين (130) مائة وثلاثون مجاهداً⁽⁴⁴⁾، وتَمَّ استسلامُ بصرى في منتصف جمادى الأولى سنة 13هـ الموافق منتصف تموز 634هـ.

وكانت بُصرى أوَّلَ مدينةٍ فُتِحَتْ بالشَّام على يدي خالد بن الوليد، وبعث بالأخماس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه⁽⁴⁵⁾. هذا من الدرج التاريخي، أما شعر القعقاع فأبرزَ حركةَ المسلمين من مَجْمَعِ الصُّقْرين إلى بصرى وحددَ عدوًّا، ونتيجة المعركة وهي جدد أنافهم بسيوف المسلمين، كما حدّدَ زمانَ هجوم المسلمين صباحاً فيقول⁽⁴⁶⁾:

بَدَأْنَا بِجَمْعِ الصُّقْرين فَلَمْ نَدْعُ	لِغَسَّانَ أَنْفَاً فَوْقَ تِلْكَ الْمَنَاحِرِ
صَبِيحَةَ صَاحِ الحَارِثَانِ وَمَنْ بِهِ	سُوءٍ نَفَرَ نَجَتْهُمْ بِالْبَوَاتِرِ
وَجِئْنَا إِلَى بُصْرَى ⁽⁴⁷⁾ وَبُصْرَى مَقِيمةٌ	فَالْقَتِ إِلَيْنَا بِالْحَشَا وَالْمَعَاذِرِ
قَضَيْنَا بِهَا أَبْوَابَهَا ثُمَّ قَابَلَتْ	بَنَا الْعِيسُ فِي الْيَرْمُوكِ جَمْعَ الْعِشَائِرِ

فتلحظ من النصِّ حركةَ المسلمين من مرج راهط شمالي دمشق إلى مرج الصُّقَر جنوبى دمشق، وهو تصحيح لبعض الدراسات أن خالدًا اتجه من شرقي دمشق إلى بصرى⁽⁴⁸⁾، وتلحظ في البيت الأول نفسه تحديدَ عدوٍّ؛ وهم الغساسنة والنتيجة الحاسمة هي جدد أنوفهم بسيوف المسلمين يَكْنَى عن إذلالهم.

وتلحظ في البيت الثاني توقيتَ هجوم المسلمين عليهم صباحاً وهم يحتفلون في أحد أعيادهم فقتل المسلمون منهم عدداً وأسروا وغنموا كما في الدرج التاريخي الذي يصادق عليه شعر القعقاع⁽⁴⁹⁾.

ويحدّدُ في البيت الثالث محورَ حركة المسلمين من مجمع الصقفرين، جنوبى دمشق إلى بُصرى عاصمةِ الغساسنة آنذاك، حيث أَلْقَتْ جَنْدَهَا مِنْ حِصْنِهَا واستسلمت لخالد بعد انتجاده شرحبيلَ قانَدَ الأربعةِ آلاف جندي، وقد حوَصِر جنود بُصرى فَأَلْقَتْ ما عندها من جند، وتخلّت عن المقاومة، وأذعن أهلها للجزية عن كل حالم دينار وجريب حِنطة⁽⁵⁰⁾.

3. من بصرى إلى اليرموك بين شعر القعقاع والمؤرخين

وصوّرَ شعرُ القعقاع أبوابَ بصرى، وقد افتَضَّها المسلمون، إذ لم تكن فتحت من قبل، واتجه المسلمون من بُصرى إلى اليرموك، حيث تَمَّ تجميع قوات المسلمين

على رؤوسهم قاداتهم الأربعة؛ أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، تحت راية خالد بن الوليد، ووظف العيس وسيلة نقل، تتحرك بهم من بصرى التي فتحوها إلى اليرموك، وقد جرت العادة أن تراح الخيول لتمتطي الإبل بديلاً في غزوات العرب، مما يستدل على أن الحركة من بصرى إلى اليرموك كانت آمنة، وإلا لما امتطى العرب مئون العيس، مستبدلينها بصهوات الخيول الجياد.

لقد اختلف المؤرخون حول حركة المسلمين من بصرى إلى اليرموك أم إلى أجنادين؟ فمنهم من قال تحرك المسلمون إلى اليرموك، وهذا مما يصدق فيه قول الققعاق، ومنهم من ذهب إلى أن المسلمين تحركوا من بصرى إلى أجنادين⁽⁵¹⁾.

أما من قال بحركتهم من بصرى إلى اليرموك فالشاعر الققعاق، كما أدرجنا ذلك في شعره، وابن الأثير الذي ذكر أن جمع المسلمين قاتل باليرموك في عهد الصديق، وأن عزل خالد، وتعيين أبي عبيدة بدلاً منه، كان في أول يوم بدأ فيه قتال المسلمين للروم بقيادة خالد، بعد أن اتفق مع القادة الآخرين على أن يتتابوا (يتعاوروا) القيادة بمعدل قائد يومياً، وقد بلغ عدد المسلمين على أكثر تقدير ستة وأربعين ألفاً ليقاتلوا مائتين وأربعين ألفاً من الروم والغساسنة⁽⁵²⁾، بنسبة 6/1، وسبق الطبري ابن الأثير بأن المسلمين احتشدوا سنة 13هـ في اليرموك، بحيث كان معسكر أبي عبيدة مجاوراً لمعسكر عمرو بن العاص، ومعسكر شرحبيل مجاوراً لمعسكر يزيد، وذهب في تاريخه أن معركة أجنادين كانت سنة 15هـ⁽⁵³⁾.

ومن ذكر حركة المسلمين من بصرى إلى اليرموك صاحب أيام العرب في الإسلام⁽⁵⁴⁾، وبسّام العسلي عزز دراسته بخريطة من بصرى إلى اليرموك⁽⁵⁵⁾، ومثله محمود الثرة إذ احتذى حذوه فرسم خريطة بين حركة المسلمين من بصرى إلى اليرموك⁽⁵⁶⁾.

أما من العلماء الذين أدرجوا تحرك المسلمين من بصرى إلى أجنادين فكثرت منهم الواقدي⁽⁵⁷⁾، الذي ذكر أن عدد الروم في أجنادين كان تسعين ألفاً. انتصر المسلمون عليهم بقيادة خالد بن الوليد ليلة ست خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية قبيل وفاة أبي بكر الصديق بثلاث وعشرين ليلة، وأرسل خالد إلى الصديق يقول له فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومي إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك، أما بعد؛ فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد وأزيد حمداً وشكراً على المسلمين وعلى المتكبرين المشركين وانصداع ببعثهم، وإنا لقينا جموعهم بأجنادين وقد رفعوا صلبانهم.. فرزقنا الله الصبر والنصر عليهم، وكان جملة من أحصيناهم ممن قُتل من المشركين خمسين ألفاً، وقتل من المسلمين في اليوم الأول والثاني

(450) أربعمائة وخمسون رجلاً، ختم الله لهم بالشهادة، فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرّاً وأرّخ خالد الكتاب بقوله: "ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلّتا من جمادى الآخر ونحن راجعون إلى دمشق إن شاء الله تعالى، فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته" وطوى الكتاب وسلّمه إلى عبد الرحمن بن حميد، وأمره بالمسير إلى المدينة المنورة. وسار خالد يطلب دمشق⁽⁵⁸⁾.

واحتذى البلاذري حذو الواقدي فذكر حركة المسلمين من بصرى إلى أجنادين وذكر بلاء خالد مع جيوش الرُّوم وقدرها بمائة ألف وذكر أسماء بعض الشهداء، ولمّا انتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين نَحَبَ قلب هرقل وسقط في يده فهرب من حمص إلى أنطاكية وحدّد زمان أجنادين يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 13هـ ولليلتين بقيتا أو خلّتا من جمادى الأولى⁽⁵⁹⁾.

ويُعزّزُ محور حركة المسلمين من بصرى إلى أجنادين أنها حدثت قبل معركة اليرموك بثلاث وعشرين ليلة على الأقل، لأن الصديق توفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة الشريفة⁽⁶⁰⁾.

والحموي فصلّ القول في زمني أجنادين واليرموك، إذ حدثت معركة أجنادين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة قبل وفاة الصديق بنحو شهر⁽⁶¹⁾، أمّا اليرموك ف وقعت أحداثها بعد أجنادين بدليل أنّ البريد وصل من المدينة المنورة يحمل نبأ وفاة الصديق، وتعيين أبي عبيدة قائداً لجيوش المسلمين وعزل خالد، وكان خالد قد أشار على قادة الجيوش الأربعة أن "يتتابوا" القيادة وأشار عليهم أن يقود المعركة في اليوم الأول فوافقوا، وما إن وصل البريد مع محمية بن زعيم حتى أمره أمين الأمة أن يستتر على الخبر، حتى لا يفتّ في عضد المسلمين لوفاة الخليفة، وعزل خالد عن قيادة الجيش، وكان خالد قد قال لهم "أن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سننتاسر، ولو علم بالذي كان لكان قد جمعكم، وإن الذي أنتم فيه (من التشرذم) وعدم توحيد القيادة أشدّ على المسلمين مما قد غشيتهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم"⁽⁶²⁾.

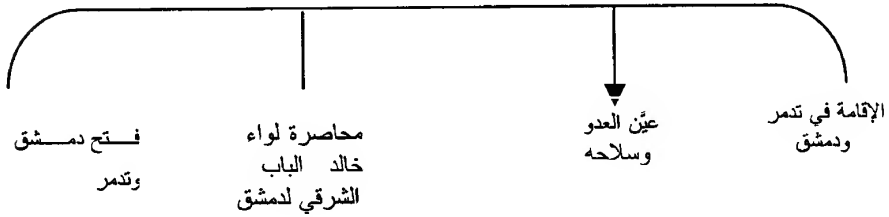
وقد أكّد الحميري⁽⁶³⁾ وقوع أجنادين قبل اليرموك وحثّه رسالة خالد إلى الصديق قبل وفاته، بينما عزل وهو في اليرموك بأمر الفاروق.

أما من المؤرخين المحدثين الذين نحوا منحى تقديم أجنادين على اليرموك فالجنرال الباكستاني أكرم فحند وقوعها ميلادياً في الأسبوع الثالث من تموز عام 634م وبعدها تحرّك خالد إلى دمشق⁽⁶⁴⁾. واللواء خطّاب عزّز حركة خالد من بصرى إلى أجنادين بخريطة مع أنّه لم يكن واضحاً في تحديد معارك خالد في بلاد الشام⁽⁶⁵⁾.

وبعضُ البَحْثَةِ أرْخُوا وقعة اليرموك يوم (21) الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة 15هـ الموافق 21 يولية 636م وعزَّزْها بخريطة (اليرموك) ⁽⁶⁶⁾.

ويمكن أن نطمئن إلى أن معركة أجنادين وقعت قبل معركة اليرموك بمدة لا تقل عن شهر، وأن شعر القعقاع في اليرموك كان بعد أجنادين، أمَّا خَلَوْ وفاضه من ذكر أجنادين، فيحتمل أن شعره فيها فقد، أو لم يقل فيها شعراً، وإن كان الاحتمال الأول أقوى على ما عهدنا من شعره في ذكره مواقع حربية عديدة ذكرها في شعره، وهي أقل شأنًا من أجنادين.

وثمة أمورٌ جلاها القعقاع بن عمرو رضي الله عنه يثبتها المخطط التالي:



أمَّا الأمور هذه فنجلبها من شعره التالي ⁽⁶⁷⁾:

أَقْمُنَا عَلَى دَارِي ⁽⁶⁹⁾ سَلِيمَانِ أَشْهَرَا
فَضَضْنَا بِهَا الْبَابَ الْعِرَاقِيَّ عَثْوَةً
وَقَدْ دَارَتْ رَحَانَا بِدَارِهِمْ فَلَمَّا زَأْنَا فِي
بِمَشَقٍّ نَحْـوَرِهِمْ
نُجَالِدُ رُومًا قَدْ حُمُوا بِالصَّوَارِمِ
قَدَانٌ لَنَا مُسْتَسْلِمًا كُلُّ قَائِمِ
أَقِيمُوا لَهُمْ جَزَّ الدَّرِي بِالْعَوَاصِمِ ⁽⁶⁸⁾
وَتَدْمَرُ عَضْوًا مِنْهُمَا بِالْأَبَاهِمِ

ويفهمُ من شعر القعقاع أن المسلمين بلسان الجمع، ويَقْصِدُ لَوَاءُ خَالِدِ الْفَاتِحِ من العراق بدليل إقامتهم في تدمر، ومحاصرته دمشق. حيث جالدوا الروم وحاصروهم من الجهة الشرقية لحصن دمشق وفتحوه بالقوة وهذا الذي قال فيه المؤرخون فيما بعد، بأنَّ خالدًا أقام في دير شرقي حصن دمشق عندما قدم من العراق سمي الدَّيرُ باسمه، وبعد عودته من أجنادين اتخذ الباب الشرقي مقراً له، إذ حصر الروم في دمشق ⁽⁷⁰⁾، بينما وزَّع خالدة قادة الألوية الإسلامية، على الأبواب الأخرى لمدينة دمشق، فحاصر أبو عبيدة باب الجابية جنوبي غربي دمشق، ويزيد بن أبي سفيان باب دمشق الجنوبي، وعمرو بن العاص باب دمشق الشمالي الشرقي، وشرحبيل بن حسنة بابها الشمالي الغربي ⁽⁷¹⁾. كان ذلك بعد معركة أجنادين بعشرين يوماً ⁽⁷²⁾.

ومن شعر القعقاع يفهمُ افتضاضُ الباب الشرقي من حصن دمشق "الباب

العراقي" إذ كان الحصار هذا من واجبات خالد وبرُفَقته القعقاعُ بن عمرو ومذعور بن عدي الذين تسلَّقوا سور دمشق بسلاسل من الحبال التي ألقيت عليهم، وفتحوا الباب العراقي فدخل لواء خالد إلى قلعة دمشق بقوة السلاح، فالتقى أبا عبيدة حارس باب الجابية وبرُفَقته توماس قائد حصن دمشق وهو صهر هرقل، وهربيس، وقد عقد أبو عبيدة معهما صلحاً، مما أثار خالد الذي لم يكن يعرف ما يدور على الأبواب الأخرى، وهو القائد العام فيما يعلمه، وعليه فلا يجوز لأبي عبيدة أن يقطع عهداً دون إذنهِ.

وتجادل القائدان، خالد وأبو عبيدة حول دخولهما دمشق أحرباً أم سلماً؟ ومماً قاله خالد لأبي عبيدة: "أي سلام هذا الذي تقولهُ، لقد استوليت على المدينة بالقوة، فسوفنا نقطر من دمهم، وقد استوليت على غنائم وأسرى"⁽⁷³⁾.

فأجابه أبو عبيدة - بحلمه - موثقاً قائده خالد "أيها القائد، أعلم أنني دخلتُ المدينة بدون قتال" فأجابه خالد "إنك تتصرف بدون اكتراث، فكيف أمكنهم من الحصول على السلام منك، بينما دخلت المدينة بالقوة وقضيت على مقاومتهم؟"

فأجابه أبو عبيدة: "اتق الله، أيها القائد، لقد أعطيتهم ضماناً للسلام وانتهى الأمر" فقال له خالد: لست مخوَّلاً بمنحهم السلم بدون أوامري، فانا قائدكم ولن أعهد سفي قبل أن أبيضهم" فقال له أبو عبيدة: "أنا لا أصدقُ أنك تعارضني، بعد أن أعطيت لهم ضماناً للسلام، لكل فرد منهم، لقد منحهم السلام باسم الله واسم نبيه صلى الله عليه وسلم، كما أن المسلمين الذي كانوا معي وافقوا على هذا السلام، ونقضُ العهود ليس من صفاتنا"⁽⁷⁴⁾، فوافقهُ خالد أخيراً على شروط الأمان.

وبعد أن انتهى الحوار بين القائدين، وبأدبه الجم، انتحى أبو عبيدة بخالد بن الوليد جانباً، وأقرأهُ كتاباً من الفاروق يبلغه فيه وفاة الصديق رضي الله عنه وتخليف الفاروق، وعزل خالد عن قيادة الجيوش في بلاد الشام، وتعيين أبي عبيدة بدلاً منه فقال له خالد مهنئاً، برغم هول الصدمة، فمصلحة المسلمين أهم من مصلحة الفرد⁽⁷⁵⁾. ويميل الباحثان إلى أن خالداً عزل عن إمارة الجيوش وهو يحاصر دمشق ولم يعلمه أبو عبيدة حتى لا يوهن المسلمين وهم بإزاء العدو⁽⁷⁶⁾.

ويفهم من شعر القعقاع أن فتح دمشق لم يكن سهلاً، بل دارت رحى معركة شرسة بين المسلمين والرُّوم في تدمر، ودمشق خاصة ذلك أن هرقل لما علم بمحاصرة المسلمين لدمشق، التي كانت حاضرة بلاد الشام، وفيها حامية كبيرة تربو على (15) خمسة عشر ألف مقاتل، وتوماس⁽⁷⁷⁾ قائد حاميتها ختتَهُ زوج ابنته، وعلى ذلك فأرسل جيشاً من (5) خمسة آلاف مقاتل اندفعوا من حمص بعد أن جندوا معهم عشرة آلاف لفق الحصار عن دمشق، فاشتبكوا مع كمائن المسلمين

على طريق المحور، لكنهم وصلوا إلى مرج الصفرين جنوبي دمشق ودارت رحى معركة حاسمة بين المسلمين والرُّوم، يسجلها القنقاع بن عمرو في شعره شاهداً⁽⁷⁸⁾.

بدأنا يَجْمَعُ الصُّفْرَيْنِ فَلَمْ نَدَعْ
صَبِيحَةَ صَاحِ الحَارِثَانِ وَمَنْ بِهِ
وَجِئْنَا إِلَى بُصْرَى وَبُصْرَى مَقِيمَةٌ
قَضَضْنَا بِهَا أَبْوَابَهَا ثُمَّ قَابَلَتْ
لِغَسَّانٍ أَتَفَا فَوْقَ تِلْكَ الْمَنَاخِرِ
سُؤَى نَقَرَ نَجَّتُهُمْ بِالْبَوَاطِرِ
فَأَلَقْتُ إِلَيْنَا بِالْحِشَا وَالْمَعَاذِرِ
بَنَا الْعَيْسُ فِي الْيَرْمُوكِ جَمَعَ الْعَشَائِرِ

فتلحظ من النص أن بداية المعارك كانت بمجمع الصفرين جنوبي دمشق، كان ذلك في مرحلة قدوم خالد من العراق، حيث لقي الغساسنة وجدع أنوفهم وأذلهم، وحدد توقيت المعركة (صبيحة) وعين أبرز قائدين غسانيين أذلهم وهما الحارث بن الأيهم⁽⁷⁹⁾، والحارث بن جبلة بن الحارث الرابع بن حجر الغساني ملك الغساسنة، كان عامل الرومان على بلاد الشام، الذاند عن حدودها، أعداءه من اللخمين أنصار الفرس⁽⁸⁰⁾، واتجه جيشه إلى جمع العشائر إلى اليرموك المعركة الفاصلة فيما بعد، ويبدو أن هذه القطعة قالها بعد أن اجتاز غير موقعة فسجل شعره آثارها فيما بعد، وبعد إنجاز المعارك، إذ فتح أبواب بصرى، وارتحل الجيش على الإبل الرواحل إلى منطقة تجميع جديدة، احتشدت بها جموع المسلمين في اليرموك، بعد حين.

لقد وقعت معركة مرج الصفرين بعد حصار دمشق، فأنجدها هرقل بأبرز قادته "درنجار" من جهة حمص، فعبأ لهم خالد تعبئة في أجنادين، فعين معاذ بن جبل على ميمنته، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص على ميسرته، وعلى الخيل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ونزل أبا عبيدة في الرجال، ووقف خالد في مقدمة الجند يحرضهم على الجهاد، وحملوا على الرُّوم، فتشتتوا، فمنهم من دخل مدينة دمشق، ومنهم من رجع مهزوماً باتجاه حمص، ومنهم من لحق بقيصر وقد وقعت أحداث هذه المعركة جنوبي الجابية جنوبي مدينة دمشق، يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة (13) ثلاث عشرة، قبيل وفاة الصديق رضي الله عنه بأربعة أيام، ولما انهزم الرُّوم في المعركة، عاد المسلمون بقيادة خالد يحاصرون مدينة دمشق⁽⁸¹⁾.

وثمة ملحظة أخرى هي تصحيح الروايات التاريخية التي ذهب بعضها إلى أن وفاة الصديق بلغت المسلمين وهم بالياقوصة من اليرموك، وأن حامل رسالة نعي الصديق وعزل خالد واستبدال أبي عبيدة به هو محمية بن زنيم، وأنه سلم رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة، بينما كان خالد يتعاور القيادة مع باقي قادة الأولوية. بمعدل

قائد يومياً، وكان اليوم الأول لخالد بن الوليد⁽⁸²⁾، فأخفى أبو عبيدة محتوى الرسالة عن جنده، محافظة على معنوياتهم، وطمأنهم المراسل إلى أن إمدادات إسلامية في طريقها إليهم، وحرّر المراسل من إنشاء أسرارها⁽⁸³⁾.

ولعلّ الصواب أن يكون الفاروق أرسل رسالة إلى أبي عبيدة وهو يحاصر دمشق ولم يطلع أبو عبيدة الجنّد عليها إلا بعد فتح دمشق، بعد أن بلغ خالداً محتوى رسالة الفاروق، ومع ذلك استمرّ خالد في جهاده فطارد الروم بدءاً من اليوم الثالث لخروجهم من دمشق بأمان أبي عبيدة⁽⁸⁴⁾.

ولمّا تمّ للمسلمين فتح دمشق، عقد أبو عبيدة مجلس حرب، بقيادته وحضور قادة ألوّيته، وقرروا أن يتحرك المسلمون لسحق جيش هرقل الذي بدأ يحتشد في بيسان وفحل لقطع طرق مواصلات المسلمين، وإجبارهم على إخلاء دمشق، ولوضعهم في مركز استراتيجي غير ملائم، ولتجنب أخيراً الاصطدام بهم.

أوكل أبو عبيدة⁽⁸⁵⁾ مهمّة الدفاع عن دمشق إلى قائد لوائه يزيد بن أبي سفيان وقرّر أن يتحرك بالجيش الإسلامي كله إلى "فحل"⁽⁸⁵⁾ لمواجهة (80) ثمانين ألفاً من الروم بقيادة سقار بن مخراق، كان ذلك في ذي القعدة عام 13هـ الموافق لكانون الأول سنة 635هـ⁽⁸⁶⁾.

سار الجيش الإسلامي بتشكيلة حرب إلى فحل لمنع احتلالها وإيقاع ضربة موجعة بالروم، وحماية قائد سرية فحلّ أبي الأعور السلمي⁽⁸⁷⁾، واتخذ تشكيلة التقدم على النحو التالي: لواء خالد حرس مقدمة، وتحرك أبو عبيدة وسائر قادة ألوّيته معه إلى فحل، ولما وصلوا إليها لم يجدوا الروم فيها، وكان شرحبيل بن حسنة قائد الألوية جميعها لأنّ فحل من منطقة مسؤوليته بناءً على أمر الخليفة الفاروق.

لقد عمد الروم قبل مغادرتهم (فحل) إلى سدّ نهر الجالوت، في غور الأردن، فارتفع منسوب الماء وغمر الأراضي الواقعة على جانبي النهر، لمنع المسلمين من مهاجمتهم فرساناً ورجلة، بغية أن يستكمل الروم حشوداتهم في بيسان على مكث، ويهاجموا المسلمين على حين غرة، ولكنّ شرحبيل كان قائداً حذراً، لم يكن يستكين للراحة والهدوء والروم على مرأى بصره غرباً، وقد أغرقوا أرض الغور وتركوا لهم مخاضات يعرفونها للهجوم على المسلمين منها.

كان عدد المسلمين (30) ثلاثين ألفاً وعدد الروم (80) ثمانين ألفاً بنسبة 3: 8 في موازنة بين القوى، إذ بدأ هجوم الروم في 27 ذي القعدة عام 13هـ الموافق لـ 23 كانون أول سنة 635، وانتهت المعركة في 28 ذي القعدة عام 13هـ في

اليوم الرابع والعشرين من كانون الأول نفسه، ولم يحقق جيش الروم مفاجأته على المسلمين لتتبيه المسلمين، واتخاذهم تشكيلة حرب بجاهزية قتالية عالية، على الرغم من أن هجوم سقلار الرومي كان ليلياً، ولم يستطيعوا اختراق صفوف المسلمين، ووقعت خسائر كبيرة بالروم، وفرّوا للغرب مرعوبين، فعزلتهم أوحال الغور التي أغرقوا الغور فيها، وسقط معظمهم بمستنقعاتها فزال منهم المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، إذ قُتل سقلار بن مخراق ومعاونه انسطورس⁽⁸⁸⁾، ولأد بقيّة الجيش المهزوم بحصن بيسان وبلغ عدد قتلى الروم عشرة آلاف، وسميت موقعة فحل بموقعة الوحل⁽⁸⁹⁾.

وبهزيمة جيش الروم في فحل وزّع جيش المسلمين أيضاً، فبقي أبو عبيدة وخالد في فحل، وانطلقا بعد ذلك نحو دمشق وشمال سورية.

أمّا شرحبيل وعمرو فاجتازا المستنقع وفرضا حصاراً على بيسان، وبعد أيام شنّ الروم هجوماً من حصنهم على المسلمين، فذبحهم شرحبيل بن حسنة، فاستسلمت بيسان ووافقت على دفع الجزية، فاتجه شرحبيل إلى طبرية شمالاً فاستسلمت له بشروط مماثلة تم ذلك قبل نهاية شباط 635 الموافق لذي الحجة عام 13هـ، وانتهت المقاومة في الأردن.

وساند شرحبيل عمرو بن العاص مساعداً له في منطقة عمله، حيث شنّ حرباً على أجنادين في معركة ثانية، وانتصر فيها على الروم، واقترب بعدها اللواءان، ذهب لواء عمرو لفتح نابلس وعمواس وغزة فاحتلّ أرض فلسطين، واندفع شرحبيل إلى المدن الساحلية يفتتحها وهي عكا وصور. أمّا يزيد بن أبي سفيان فتقدّم مع أخيه معاوية إلى صيدا وجبيل وبيروت، وفي نهاية عام 14هـ كانت فلسطين والأردن وجنوب سورية ما عدا القدس وقيسارية بيد المسلمين⁽⁹⁰⁾.

4. دور الققعاق في معركة فحل من شعره والتاريخ

لقد اشترك الققعاق بن عمرو في معركة فحل سنة (13) ثلاث عشرة فأنشد قصيدة رائية من اثني عشر بيتاً يقول فيها⁽⁹¹⁾.

كَمْ مِنْ أَبِي لِي وَرَثْتُ فِعَالَهُ جَمَّ الْمَكَارِمِ بِحِرَّةِ ثِيَارُ
وَرَثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ فَبَنَى بِنَاءَهُمْ، لَهُ اسْتِبْصَارُ
فَبَيَّنْتُ مَجْدَهُمْ وَمَا هَدَمْتُهُ وَيَبِيَّ بَعْدِي - إِنْ يَقُوا - عَمَّارُ
مَا زَالَ مِثْلًا فِي الْحُرُوبِ مَرُوسٌ مَلَكٌ بَغِيرُ وَخَلْقُهُ جَرَّارُ
بَطْلُ اللَّقَاءِ إِذَا الثُّغُورُ تَوَكَّلَتْ عِنْدَ الثُّغُورِ مُجَرَّبٌ مِظْفَارُ
وَعِدَاةٌ فُحِّلَ قَدْ رَأَوْنِي مُعْلِمًا⁽⁹⁵⁾ وَالْخَيْلُ تَنْحِطُ⁽⁹²⁾ وَالْبَلَا أَطْوَارُ
يَفْدِي بِلَانِي عِنْدَهَا مُتَكَلِّفٌ سَلِسُ الْمَيَاسِرِ عَوْدُهُ خَوَارُ⁽⁹³⁾

سَلِسُ المِياسِرِ ما تَسامِي ماقِطاً⁽⁹⁶⁾ عِنْدَ الرُّهانِ مُعَيَّرُ عَسِيَّارٍ⁽⁹⁴⁾
 ما زالت الخيلُ العِرابِ⁽⁹⁷⁾ تَدوسُهُم في حَومِ فِحلٍ والهِبا مَوَّارُ
 حَتَّى رَمينَ سَرَاتهمْ عن أَسْرِهِم في رَدْغَةٍ ما بَعْدَها اسْتِمْرارُ
 يَوْمَ الرَّدْغِ بَعِيدَ فِحلٍ ساعَةً وخَزْ الرَّمَّاحِ عَلَيهِم مِذْراَرُ
 ولقد أَبْرنا⁽⁹⁸⁾ في الرَّدْغِ جَموعَهُم طِراً ونَحوي تَشْخَصَ الأَبْصارُ

إن في قصيدة القعقاع هذه مفخرة بحسبه ورثها كابرأ عن كابر، وها هو يورثها بنيه من بعده. (تبيينها الأبيات الخمسة الأولى منها).

ونلاحظ في الأبيات الأخرى بروزَ عنصر المكان الذي دارت فيه المعركة، فنذكرها ست مرات مناصفة بين "فِحل" والرَدغَ أمّا فِحل فشهد فيها غداة وهو فارس مميز (البيت السادس) والخيل تزفرُ في أتون المعركة، وهي تخوضُ الحرب طورا فطورا، وفي فِحل برز دور الخيول العربية، وهي تدوس الرُّوم تحت سناكبها (البيت 9)، ومن فِحل طاردوا الرُّوم إلى غور بيسان، وقد أغرقه الرُّوم من وادي الجالوت لمنع المسلمين من مهاجمتهم في بيسان، وهم يحتشدون في مرحلة أولى ولمنعهم من مطاردتهم، إذا فشلوا في فِحل، وانسحبوا إلى بيسان في مرحلة أخرى، وقد صدق ظنهم، فلم تتمكن خيول المسلمين وَرَجَلَتُهُم من سحقهم عند مطاردتهم بسبب أحوال الغور وإغراقه، إلا من مخاضات عرفها المسلمون عند مطاردتهم لهم، فلم يتمكنوا من إبادتهم، برغم من إيقاعهم خسائر تقدر بعشرة آلاف على بعض الروايات⁽⁹⁹⁾.

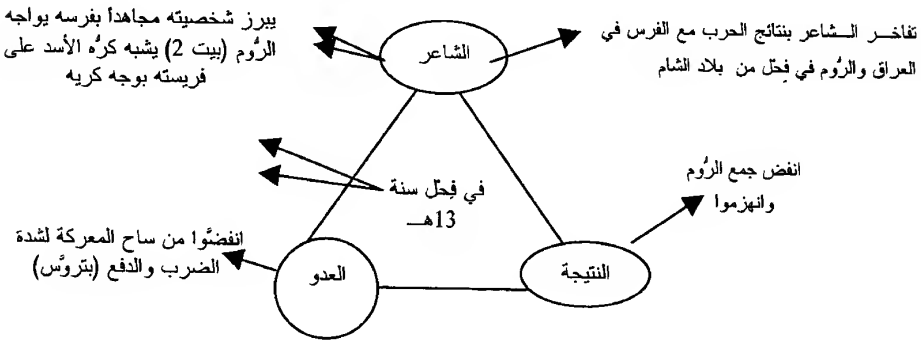
حرص القعقاع على ذكر "الرَدْغَة" و"الرَدْغ" ثلاث مرات في الأبيات (10، 11، 12) فعادل "فِحل" عدداً، وإن كان طابق بينهما هباءً مواراً في "فِحل" وطيناً وماءً في رَدغ غور بيسان.

ويستوقفه الزمن في قصيدته غداة فِحل يَتَمَيَّزُ في القتال (بيت 6) وساعة في فِحل وهم يخزون الرُّوم برماحهم (بيت 11) فيتضام مع رماح المسلمين أخيراً بعد أن انماز عنهم في البيت السادس. وفي مجال الحرب يجوز المفارقة حملاً على قوله عليه السلام يوم "حنين" "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب" مستوتقاً بعقيدته أولاً ونسبة ثانياً، وأبرز في قصيدته من معدات الحرب الرماح تتوشهم في فِحل والرَدْغَة، وتلقت إلى الخيول العراب العربية، التي داست بسناكبها هامات الرُّوم في فِحل وما أمكنها منهم في أحوال الغور المغرق، وانتهت القصيدة كما بدأت بمفخرته في صولجان فِحل وهو يَفْتَلُ أعداءه، وأبصارُ المسلمين تبسم لأفعاله، وشدة جهاده. وقال القعقاع في فِحل أيضاً⁽¹⁰⁰⁾:

يُنسي الكَمي⁽¹⁰¹⁾ سلاحه في الدَّار
كُرَّ المبيح⁽¹⁰²⁾ رِيانة⁽¹⁰³⁾ الإِيسار⁽¹⁰⁴⁾
ينفي العدو إذا سما جرَّار
والشَّامَ جَسًا في ذرى الأسفار

وغداة فُحِلَ قد شهدنا ما قُط⁽¹⁰⁵⁾
ما زلت أرميهم بقرحة كامل⁽¹⁰⁶⁾
حتى فضضنا⁽¹⁰⁷⁾ جمعهم بتردُس⁽¹⁰⁸⁾
نحن الأولى جَسُوا⁽¹⁰⁹⁾ العراق بخيلهم

يبرز الشاعر في قطعته أموراً يجليها المثلث الأدبي التالي:



برزت شخصيته محارباً مستقلاً بضمير التاء المتكلم ما زلت (بيت 2) ثم ينصهر مع جند المسلمين لتوظيفه (فضضنا جموع الروم) في البيت الثاني، ثم يفخر بلسان الجمع بضمير منفصل (نحن الأولى) ولعله أراد لواء خالد الذي حضر من العراق فانتصر في الشام كما انتصر في العراق من قبل، بتفاخر يحق له أن يزهو وهو المنتصر فرداً وجمعاً في معارك الواجهتين الفارسية من قبل والرومية من بعد.

5. معركة اليرموك والقعقاع بن عمرو

اختلف المؤرخون في زمن معركة اليرموك، فبعضهم أرخ لها سنة (13) ثلاث عشرة للهجرة، وبعضهم أرخ لها سنة (15) خمس عشرة للهجرة أما من الفريق الأول فالواقدي⁽¹¹⁰⁾، والطبري⁽¹¹¹⁾، وابن الأثير⁽¹¹²⁾، وياقوت الحموي⁽¹¹³⁾، وذكرها البلاذري⁽¹¹⁴⁾، بعد فتوح المسلمين لمدينة حمص والساحل الشامي وبعدها تم فتح فلسطين وذكر سيف بن عمر أنها حدثت سنة (13) ثلاث عشرة قبل فتح دمشق ولم يتابعه أحد على ما قاله⁽¹¹⁵⁾، وذكرها البكري⁽¹¹⁶⁾ في عهد الفاروق لأن أميرهم أبو عبيدة ومعه خالد ولم يحدد زمانها، ويفهم مما سبق أن عمر أرسل بعزل خالد وتولية أبي عبيدة عليه، وهم في اليرموك وكان خالد أمر أن يتعاون القادة قيادة الجيش بمعدل قائد لكل يوم من أيامها⁽¹¹⁷⁾.

وإذا أخذنا بأراء هذا الفريق فإن ابن حبيش يؤرخ لليرموك بأن الروم اجتمعوا باليرموك ونزلوا به وقالوا "والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن ألا تورّد بلادنا بخيوله" فكتب أبو بكر رحمه الله إلى عمرو بن العاص، وكان في بلاد قضاة بالمسير إلى اليرموك ففعل، وبعث أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وأمر كل واحد منهما بالغارة، وأن لا تغلوا (تتوغلوا) حتى لا يكون وراكم أحد من عدوكم، وقم عليه شرحبيل بن حسنة فسرحه نحو الشام في جند، وسمى لكل رجل من أمراء الجند كور الشام، فتوافوا باليرموك، فلما رأت الروم توافيهم، نموا على الذي ظهر منهم، ونسوا أنهم كانوا يتوعدون أبا بكر، ثم نزلوا الواقوصة، فكتب أبو بكر رحمه الله إلى خالد بن الوليد "سير من العراق إلى الشام" وأرسل الكتاب مع عبدالرحمن بن حنبل الجهمي، وفتح الكتاب، وإذا به يوليه الصديق على أبي عبيدة وعلى الشام⁽¹¹⁸⁾، وإذا أخذنا بهذه الروايات التاريخية، فإن اليرموك وقعت سنة (13) ثلاث عشرة للهجرة، بدليل تجمعهم في اليرموك قبل تحرك خالد من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين، وتولى قيادة جيوش بلاد الشام، وتأميره على أمين الأمة، وهنا ينجلي موقف القعقاع وهو يحدّد محور حركة المسلمين من العراق إلى الشام، وهو يرافق خالد بن الوليد في حركته وفتوحاته من بصرى إلى اليرموك بدليل قوله متحركاً من مجمع الصفرين إلى بصرى ثم إلى اليرموك سنة (13) هـ⁽¹¹⁹⁾:

لغسّانَ أنفأ فوق تلك المناخر	بدأنا بجمع الصفرين فلم ندغ
سوى نفر نستدّهم بالبواتر	صبيحة صاح الحارثان ومن به
فألقت إلينا بالحشا والمعاذر	وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة
بنا العيس في اليرموك جمع العشائر	فضضنا بها أبوابها ثم قابلت

أما الفريق الثاني الذي أرخ لليرموك سنة (15) خمس عشرة للهجرة في شهر رجب ويزيد بن عبيدة والليث بن سعد والخليفة يومئذ عمر بن الخطاب⁽¹²⁰⁾. وأخذ بهذا الرأي الجنرال أكرم الباكستاني، إذ وقعت اليرموك بعد فتحهم دمشق واستراحتهم بالجابية جنوبها، فسمعوا بتحشد الروم بـ(80) ألف في بيسان واتفق المسلمون بقيادة أبي عبيدة على منازل الروم في فحل، فانتصر المسلمون وقتلوا عشرة آلاف رومي، ثم عادوا إلى فتح دمشق واستمروا بفتوحاتهم في فلسطين بقيادة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وفي ساحل سورية الشمالي الشرقي بقيادة يزيد بن أبي سفيان وأخيه معاوية، أمّا خالد وأبو عبيدة فتابعوا فتوحاتها إلى حمص وغيرها، إلى أن بلغهم تحشد الروم بـ(240.000) مائتين وأربعين ألفاً بأمر هرقل في اليرموك فتشاور المسلمون واجتمعوا في اليرموك سنة (15) خمس عشرة للهجرة في عهد الفاروق⁽¹²¹⁾.

أما دورُ القعقاع بن عمرو في معركة اليرموك سواءً أحدثت سنة ثلاث عشرة أو سنة خمس عشرة فكان أحدَ أبطالها الذين اختارهم خالد بن الوليد من مائة فارس فقط من المهاجرين والأنصار فدائين للتأثير على معنويات الروم في ابتداء معركة اليرموك⁽¹²²⁾.

فكان القعقاع بن عمرو يهاجم الروم في اليرموك على رأس كردوسه⁽¹²³⁾ الذي سلّمه إياه خالد بن الوليد⁽¹²⁴⁾ ويرتجز ضارباً أمثلةً علياً لجنده إقداماً وبسالة ويقول⁽¹²⁵⁾:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبلَ اعترام⁽¹²⁶⁾ الجحفل الورّاد

وأنت في حليتك الورّاد⁽¹²⁷⁾

ففي أرجوزته هذه أمور منها تمنيه لقاء قادة الروم، وصناديدهم، لمنازلتهم ومطاردتهم في سوح القتال، منفردين قبل الهجوم العام الذي لا ريب في اعترامه.

وفيهما تحديده لباس قادة الروم وكانت دروعهم وأسلحتهم ثمينة، بضرب لوئها إلى الحمرة والصفرة، لقد سبق القعقاع بن عمرو المؤرخين في وصفه عدة حرب قادة الروم، ذلك مما أخرج الواقدي في وصف عدة حرب البطارقة، فبعضهم كان يلبس الديباج المحشو بالفرو، والزرذ الصغار المضعف العدد، ويلبس فوقها درعاً من ذهب أحمر، ويعلق في عنقه صلياً من ياقوت يستصر به، ويتقلّد بسيف هندي، ويقمّ له مهر كالطود العظيم، فيستوي على ظهره ويطلب النزال⁽¹²⁸⁾ ومنها تحديه فرسان الروم وهم في عدتهم الحربية الكاملة بألوانهم الزاهية وحلّاهم المذهبة.

وكان القعقاع بن عمرو رحمه الله قائد كردوس في اليرموك، في مجنبه قلب جيش المسلمين فازدهى القعقاع -ومن حقه في مجال الجهاد أن يزدهي-، فقال بدرج اسمه مرتين وقد دعي إلى يوم كربة في اليرموك ومن لها غيره في إجابة الداعي⁽¹²⁹⁾:

يدعون قعقاعاً لكلّ كربة فيجيبُ قعقاعُ دعاءَ الهاتف

ولعل مما يجلي موقعة اليرموك دراسة الجنرال أكرم⁽¹³⁰⁾ معززة بالخرائط العسكرية التي تبين محاور القتال التي تحرّكت إليها جيوش الروم الخمسة من مواقع مختلفة بأعداد كبيرة تقدر في أقل الروايات بـ (150) مائة وخمسين ألف جندي، حشدتهم هرقل لتطويق ألوية المسلمين الخمسة المتوزعة في بلاد الشام على النحو الآتي:

- تحرك قناطر على طول الطريق الساحلي حتى بيروت ثم يتجه نحو دمشق من جهة الغرب لقطع لواء أبي عبيدة وخالد وعزله في حمص.
- سار جبلة من حلب على الطريق الرئيس إلى حمص ماراً بحماة، وواجهه تثبيت المسلمين بالمواجهة في منطقة حمص وبذلك يكون العرب النصاري أول من يشتبك مع أبناء عمومته العرب المسلمين، لانه أنسب للروم على حد ما قاله هرقل لجبله العربي: "كل شيء يدمر بشيء من نوعه، فلا يقل الحديد إلا الحديد" (131).
- وتحرك ديرجان بين الساحل وطريق حلب ثم يتجه نحو حمص من جهة الغرب ليضرب مجنبه المسلمين بينما جبلة يثبت المسلمين في حمص.
- أما غريغوري فيتقدم إلى حمص من الجهة الشمالية الشرقية، ويهاجم المسلمين من جانبهم الأيمن، في الوقت الذي يضرب ديرجان لواء المسلمين في حمص.
- أما القائد ماهان فيتقدم بجيشه خلف العرب النصاري، وواجبه الاحتياط وبهذه الخطة يتم اكتساح جيش المسلمين في حمص بقوات رومية ونصرانية عربية بقوات تفوق على جيش المسلمين بعشرة أضعاف، وتحاصر جيش المسلمين في حمص ومنطقتها، وتسد عليها طرق الانسحاب وتدمرها (132) وكانت خطة الروم أن تهاجم ألوية المسلمين وتدمرها في عدة معارك، وكلاً على حدة.
- وما إن وصلت طلائع جيش جبلة النصراني الغساني إلى حمص، حتى فوجئت بانسحاب المسلمين منها، لأن للمسلمين جهاز استخبارات جيداً، فكان لأسرى الروم دور في تقديم معلومات عن خطة الروم الكاسحة لألوية المسلمين جميعها وعلى انفراد لكل منها.
- لقد علم أبو عبيدة القائد العام للقوات الإسلامية، بمخططات الروم عن طريق عيونه العاملة في جيش الروم، فقرر بعد أن استشار قادة ألويته أن يجتمعوا في مكان واحد في زمان محدد للتصدي للروم، فأرسل أبو عبيدة إلى قادة الألوية ومنهم خالد قائد لواء العراق (133) وحدد لهم اليرموك منطقة الحشد، واتخذ تشكيلة حرب نهائية بدءاً من نوى جنوبي الجابية وانتهاءً بـ "جلين" في وادي الحرير، من نهر اليرموك إذ بدأ خالد بتنظيم الجيش الإسلامي، الذي بلغ تعداده حوالي 40 ألفاً على كراديس منهم عشرة آلاف خيال، وزع خيالة منهم على كل لواء، وقسمت القوات الإسلامية إلى (36) ستة وثلاثين كردوساً (كتيبة) مشاة وكل كتيبة كانت تضم من (800 - 900) ثمانمائة إلى تسعمائة مجاهد، كما كانت تضم ثلاث كتائب خيالة تتألف كل منها من ألفي فارس بما مجموعه (6) ستة آلاف فارس، كما نظمهم

خالد، واستبقى(4) أربعة آلاف فارس كحرس متحركٍ بإمرته لمعالجة الأمور الطارئة.

أمّا من قادة الكتائب فقيس بن هبيرة، وميسرة بن مسروق، وعامر بن الطفيل، وكان كل لواء من الألوية يتألف من سبع كتائب مشاة، فشكّل كلّ منها على أساس القبيلة والعشيرة، حتى يقاتل كلّ رجل بجانب أفراد عشيرته.

انفتح الجيش الإسلامي بالويته وكتائبه على واجهة طولها أحد عشر ميلاً، بحيث تنطبق تقريباً على واجهة الرُّوم، وارتكز الجناح الأيسر للمسلمين على نهر اليرموك على مسافة ميل إلى الأمام عند أول الوادي، بينما ارتكز الجناح الأيمن على طريق الجابية، فانتشر لواء يزيد على اليسار وانتشر لواء عمرو بن العاص على يمين الواجهة، وخصص خالد بن الوليد كتيبة فرسان إلى كل من قائدي الأجنحة على أن تكون الكتيبتان بإمرة خالد، وكان القعقاع قائد كردوس كما أشرنا من قبل.

أمّا القلب فكان يتألف من لواءي أبي عبيدة تموضع (يسار العراق) وشرحبيل يمينها، ومن قادة الكتائب في لواء أبي عبيدة، كان عكرمة بن أبي جهل الذي استشهد فيما بعد في اليرموك بعد جهاد متميز، كما كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قائد كتيبة أيضاً.

أمّا خلف القلب فكان الحرس المتحرك، ومعهم كتيبة خيالة كاحتياط للقلب بإمرة خالد.

وعين خالد ضرار بن الأزور نائباً له؛ لقيادة الحرس المتحرك، ودفع كلّ لواء بعض الكشافة للأمام، لمراقبة قوات الرُّوم المحتشدة أمامه، في سهل اليرموك لقد كان جيش المسلمين يشكّل جبهة رقيقة تتألف من ثلاثة صفوف بالعمق، ولكن لا ثغرات بين هذه الصفوف التي كانت تمتدّ بشكل متصل من الطرف إلى الطرف.

أمّا توضع الأسلحة - كما خطط لها خالد - فكانت النبال والرماح والسيوف. فالنبال من واجبات لواء عمرو المتموضع في المحور الأيمن من ميدان المعركة، وأمّا الرماح فجهّزت للطعن في الصفوف الأمامية، وإذا اخترق جنود الرُّوم صفّ المسلمين بعد أن توجّع النبل والرماح في الرُّوم أكبر خسائر ممكنة، فإن الدور لمصاولة السيوف والحرب وكان على قائد لواءي الجناحين أن يستخدم كتائب الخيالة عند الضرورة وقد أعدها خالد لهما كقوة احتياطية لتدارك مخاطر اختراق الرُّوم.

أمّا خالد فيقومُ حرسه المتحركُ يضاف إليهما كتيبة خيالة بواجب الاحتياط المحلي، لكلا لواءي القلب، ويكون جاهزاً للعمل كاحتياط للجيش، للتدخل في

المعركة مع كلا لواءي الجناحين حسب مقتضيات الموقف.

وَوُضِعَتِ النساء والأطفال في معسكرات ممتدة خلف مؤخرة الجيش، وخلف رجال كتيبة كانت تقف نساؤهم وأطفالهم، وقد حرّضهنّ أمينُ الأمة على أن يحملن أعمدة الخيام بأيديهن ويجمعهن أكوام الحجارة ليضربن بها الهاربين من المسلمين، ويَذَنّن عن أنفسهن من علوج الرُّوم⁽¹³⁴⁾.

أمّا توضيعُ جيش الرُّوم للمعركة بقيادة ماهان فكان أمام وادي العلّان، وأمّدت توضيع جيوشه الأربعة النظامية على خط مواجهة يبلغ طوله اثني عشر ميلاً، يمتدّ من نهر اليرموك إلى جنوبي تل الجابية، أي من غرب "نوى" بحوالي مليون إلى جنوبي غربي تسيل، ومن ثم مرّ بسَحْم الجولان (الآن) إلى ضيقة اليرموك على النحو التالي: جيش غريغوري على الميمنة، وجيش قناطير على الميسرة، وتموضع جيشا ديرجان وماهان في القلب بإمرة ديرجان ووزعتْ خيولُ الرُّوم بالتساوي بين الجيوش الأربعة، وانتشرت المشاة في الأمام، واحتفظ بالخيالة في الخلف، وفتح ماهان أمام خط المواجهة جيش جبلة بن الأيهم الغساني المؤلف من العرب النصاري وهم يمتطون الخيول والابل ليفل الحديد من جنسه بالحديد، واسند إليه مهمة مناوشة الجيش الإسلامي، ولم يكلفه بالاشتباك الحاسم مع المسلمين.

أمّا الجناحُ الأيمن بقيادة غريغوري فربط جنوده البالغ عددهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل لتصميمهم على القتال، فالموت عندهم دون الهزيمة، ولمنع الخيول من اختراقهم، وبكل سلسلة كان يربط عشرة جنود، بلغ عدد صفوف الرُّوم ثلاثين صفّاً مقابل ثلاثة صفوف للمسلمين بنسبة 10: 1⁽¹³⁵⁾.

تموضع الجيشان في ميدان المعركة؛ الذي كان يمتدّ بينهما، من سهل اليرموك المحاط بمنحدرات عميقة من كلا جانبيه الغربي والجنوبي، أمّا من الغرب فينفتح وادي الرقاد الذي يتصل بنهر اليرموك قرب الواقصة التي لها ذكر في هذه المعركة الفاصلة تبرزها الدراسة فيما بعد؛ ويمتدّ وادي الرقاد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مسافة أحد عشر ميلاً خلال واد عميق محاط بحافتين شديديتي الانحدار، ويخفّ انحداره عند طرفه العلوي، ويمكن عبوره في بعض أماكنه، أما أبرز معابره فمن مخاضة تقع قريبة من "كفر الما" حالياً.

أمّا وادي اليرموك فيقع جنوبي ميدان المعركة، يبدأ من جليلين شرقاً بمسافة (15) خمسة عشر ميلاً، إلى أن يلتقي وادي الرقاد غرباً ويستمرّ في جريانه إلى أن يلتقي نهر الأردن في منطقة الباقورة شمالي غربي الشونة الشمالية (حالياً) وفي جليلين يجري جدول يسمى (الحرير) من الجهة الشمالية الشرقية ويصب في نهر اليرموك.

أما شمالي الميدان فيستمر امتداد سهل اليرموك وراء المعركة، ويمتد شرقاً حوالي ثلاثين ميلاً من وادي الرقاد إلى سفوح تلال أزرع، وكان الجزء الغربي والأوسط من سهل اليرموك شكل ميدان المعركة.

ولعل من أهمية دراسة الرقعة الجغرافية لساحة المعركة، أن نتبين تحديداتها سلباً وإيجاباً عند الجيشين، ذلك أن ضفاف وادي الرقاد واليرموك شديدي الانحدار ويبلغ ارتفاعهما حوالي ألف قدم، فشكلت عائقين خطيرين ضد أي تحرك، وتزداد خطورتهما بالجروف المحيطة بضفافهما في معظم الأمكنة، التي توازعت في أعلاهما وأسفلهما وأوسطهما، وكانت أشدهما انحداراً وخطورة نقطة التقاء وادي الرقاد بنهر اليرموك وكانت تشكل خطورة عند اجتيازها⁽¹³⁶⁾.

لقد تميّز المسلمون على الروم بالسيطرة على ميدان المعركة، لأن تموضعهم كان على تل مشرف يرتفع (300) ثلاثمائة متر جنوبي غربي نوى يسمى على الخرائط بـ " تل السمن " و " تل الجموع " في ترتيب القتال بين قوات عمرو وشرحبيل⁽¹³⁷⁾ وهذه ميزة للمسلمين وتحديدًا للروم، كما كان " وادي علان " الذي يجري باتجاه الجنوب، عبر سهل يتصل باليرموك ميزة للروم، إذ لا يشكل عائقاً خطيراً لحركتهم كالتي تشكلها الانحدارات الأخرى لوادي الرقاد ونهر اليرموك وحوافهما المنحدرة، وميزه وادي علان هيات للقائد " ماهان " الرومي أن يفتح قواته للمعركة خاصة من جهته الشمالية التي تتصل بسهل اليرموك.

لقد كان للوضع الطبوغرافي المقام الأول في تخطيط خالد بن الوليد، فكان " تل الجموع " ذا ميزة وحيدة، يشرف منه على ساح المعركة، فيعرف نقاط قوتها وضعفها، وارتأى بعبريته الفذة نقطة ضعف الروم، إذا دفعهم بقواته من الشمال الشرقي من ميدان المعركة باتجاه الجنوب الغربي، لتصير المنحدرات الشديدة التي يدفعون إليها سنداناً تقع عليه مطرقة المسلمين، لا سيما أن سلاسل الروم التي قيد بعض الجنود عشرات عشرات بها، لتمنع خيل المسلمين من اختراقها، تتحول إلى كارثة عليهم، إذا دفعتهم خيول المسلمين من سفوح المنحدرات إلى قيعانها من جهة، وإجبار المنهزمين على أن يمروا مذعورين من مخاضة الواقصة حيث يجدون حتفهم بانتظارهم، فأرسل خالد بن الوليد ﷺ ضرار بن الأزور ومعه (500) خمسمائة فارس لمنع انسحاب الروم عبر وادي الرقاد إلى سهل اليرموك لحصرهم بين انحدارات شديدة تعوق حركتهم لضيق الحركة فيها، وهجوم المسلمين المعاكس بخيلهم ورجلهم، المحدث بهم من الشمال والشمال الشرقي، كان ذلك في اليوم السادس والأخير من هذه المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم.

لقد مرت معركة اليرموك بمراحل متعددة قبل أن تنتهي بكارثة حلت بالروم، وأبكت هرقل فغادر سوريا وإلى الأبد قائلاً " سلام عليك يا سوريا، سلام لا لقاء

بعده⁽¹³⁸⁾ بعد أن فقد الروم (70) سبعين ألفاً على أقل الروايات إحصاء⁽¹³⁹⁾. وهو عدد معقول؛ بشكل نسبة 45% من عدد جنود الروم. قتل نصفهم في سهل اليرموك، وسقط النصف الآخر في الوادي السحيق، واستطاع (80) ألف رومي من الهرب، وكان معظمهم بمتطي الخيل والإبل، قبل أن يحكم المسلمون الطوق عليهم، وفقد المسلمون ثلاثة آلاف شهيد منهم عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو رضي الله عنهما⁽¹⁴⁰⁾.

أمّا من أبرز مراحلها فهي المفاوضات بين قادة الروم والمسلمين، فما كاد الروم يستقرون في معسكرهم حتى وصلت رسالة من هرقل الملك تحمل في طياتها إلى ماهان قائد الجيوش الرومية تأمره بالتباحث مع قادة المسلمين للسلام، وأمره فيها أن يعرض شروطاً سخية للمسلمين إذا وافقوا على العودة إلى الجزيرة العربية وعدم رجوعهم إلى الشام ثانية، لذا أمر ماهان أحد قادته غريغوري لإجراء مباحثات مع أبي عبيدة وعرض على أبي عبيدة أن يعود المسلمون إلى بلادهم بسلام على أن يأخذ كل شيء حصلوا عليه في بلاد الشام، على أن لا يعودوا إلى بلاد الشام مرة أخرى فأبى أبو عبيدة إلا بأحد شروط الإسلام الثلاثة مرتبة على التخيير: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب.

ثم أرسل ماهان جبلة بن الأيهم الغساني⁽¹⁴¹⁾ لمفاوضة أبناء عمه من أنصار المسلمين، ففاوضه عبادة بن الصامت الأنصاري، ودعاه إلى الإسلام أو الجزية أو القتال في موضوع طويل، فأبى جبلة بن الأيهم وكان معه ستون ألف فارس⁽¹⁴²⁾ وكان للمفاوضات هذه مقاصد عسكرية ونفسية، أمّا العسكرية فتأخير ساعة الصفر بغية الاستعداد الأوفر، وقد أفاد المسلمين ذلك، لأن عمر بن الخطاب عزز المسلمين باليرموك بستة آلاف مسلم مجاهد من اليمن يقدمهم جابر بن خول، ومن مكة والطائف يقدمهم سعيد بن عامر، فعقد لهم الفاروق راية حمراء على قناة تامة وسلمها إلى سعيد بن عامر وأوصاه وبعثه إلى اليرموك⁽¹⁴³⁾ خلال شهر من المفاوضات بين الطرفين⁽¹⁴⁴⁾.

وبعد شهرين من المفاوضات والتحشّات، طلب ماهان من المسلمين أن يبعثوا برسول من المسلمين إلى معسكر الروم لمفاوضته؛ فأرسلوا خالداً، فهتّد ماهان خالداً بجيش عظيم، ونصر قريب، ترهيباً، وعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال له وللمسلمين مقابل انسحابهم من بلاد الشام وعدم العودة إليها ثانية فأبى خالد⁽¹⁴⁵⁾.

إن المفاوضات بين الطرفين كانت من المرحلة الأولى في منازلة اليرموك الفاصلة انتهت بالفشل وأزمع الجيشان على المنازلة بعد أن عرف كل منهما أن طريق السلم مسدود.

أمّا المرحلة الثانية: فكانت استطلاعا بالقوة بين فرسان المسلمين الستين وقوات الغساسنة بقيادة جيلة بن الأيهم، انتهت بخسائر فادحة في جيش الغساسنة، واستشهاد عشرة من صناديد المسلمين، وأسر خمسة ذكرهم أبو عبيدة في رسالته إلى الفاروق⁽¹⁴⁶⁾ وأبلغه بنصر المسلمين بثلة من صناديد المسلمين لا يتجاوز عددها ستين فارساً على رأسهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

لقد اختار خالد بن الوليد رضي الله عنه (60) ستين صنديداً مجاهداً لمنازلة جيلة بن الأيهم وقد أوقع بهم خسارة فادحة⁽¹⁴⁷⁾.

وكان القعقاع بن عمرو التميمي من الصناديد الستين⁽¹⁴⁸⁾ الذي اختارهم خالد بن الوليد لمنازلة الغساسنة، وعلى ذلك يصاح إلى القعقاع وهو يلبي نداء الجهاد مفتخراً مزهواً بنفسه، يكرر اسمه مرتين، في بيت شعره في ساح الوغى وحومة الجهاد⁽¹⁴⁹⁾:

يدعون قعقاعاً لكل كريهة
فيجيب قعقاع دعاء الهاتف

وبعِيْنُهُ خالد بن الوليد قائدَ كردوس⁽¹⁵⁰⁾ من كراديس المسلمين الستة والثلاثين في اليرموك، وعلى مجنبه قلب جيش المسلمين فيها⁽¹⁵¹⁾. وكان خالد أمر عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو التميمي أن ينشبا القتال فارتجز القعقاع يتمنى لقاء الأعداء في أرجوزته التي أشرنا إليها من قبل⁽¹⁵²⁾:

ياليتني ألقاك في الطراد

وفي المرحلة الثالثة من بين الصنفين يتفاوض روماني يدعى جرجة (جورج) من قلب جيش الروم، مع خالد بن الوليد، ليسأله عن سبب تسميته بـ " سيف الله " وكان يتكلم باللغة العربية، فيجيبه خالد بصدق عن لقبه الذي لقبه به رسول الله ﷺ، ويَقْنُذُ له أن يكون سيفاً أنزله الله عليه من السماء، ويجيبه عن أسئلة أخرى فيسلمُ جرجة ويصلي ركعتين بعد وضوئه ويجاهد مع جيوش المسلمين فيستشهد مساء اليوم ذاته ولم يصل إلا ركعتين⁽¹⁵³⁾.

وفي المرحلة الرابعة من معركة اليرموك تظهر المبارزة بين أبطال الجيشين؛ فيتحذّي مريوس (ملك اللان) قائد لواء المسلمين، فينبري له شرحبيل بن حسنة فيقتله⁽¹⁵⁴⁾ بمساعدة ضرار بن الأزور⁽¹⁵⁵⁾ وتسلل ضرار بن الأزور إلى جناح الروم الأيمن فقتل قائدهم دبرجان⁽¹⁵⁶⁾.

وطلبَ ملك الروسية منازل صناديد المسلمين، وكان ملك الروسية زوج بنت ملك اللان، فانبرى لمنازلته خالد بن الوليد فقتله⁽¹⁵⁷⁾ فغضب ماهان قائد الجيوش الرومية لمقتل أبطال الروم بسيفوف المسلمين، وقال " أَيْقَتْلُ سيدان منا في

يوم واحد وإني أظنُّ أنَّ المسيحَ لا ينصرنا" ثم انتقل إلى مرحلة أخرى من معركة اليرموك، فأمر بأن يُرمى المسلمون بآلاف السهام والنشاشيب عن يد واحدة، فسقطت على المسلمين سقوط البرد من السماء دفعة واحدة، تقدر بمائة ألف سهم، فأعورت (700) سبعمائة عين مسلم فسمي ذلك اليوم بـ "يوم التعوير"⁽¹⁵⁸⁾ فكان ممن أصيب المغيرة بن شعبة وأبو سفيان بن حرب⁽¹⁵⁹⁾.

ومن مراحل حرب اليرموك إنشأ القتال بأمر قادة الألوية، ذلك ما فعله خالد، يوم نهد للرؤم، ووقف عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو، فنادى عكرمة في الناس من يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فنشب القتال⁽¹⁶⁰⁾.

وينضاف إلى مراحل الحرب في اليرموك أشكال تكتيكية أجادها المسلمون بقيادة خالد منها الهجوم الجبهي، والاختراق الجبهي، والهجوم المعاكس وصدّه والهجوم الجانبي، والهجوم من مؤخرة الرؤم، والمناورة حول الأجنحة، وكانت خطة خالد أن تبقى قواته متموضعة مكانها بصفوفها الثلاثة مقابل عشرة صفوف للرؤم، بغية أن يُنهك الرؤم وقد نجحت بشكل يدعو للإعجاب.

لقد دامت مرحلة دفاع المسلمين أربعة أيام من ستة بما يشكّل ثلثي مدة المعركة، وكانت كل ضربة هجومية من خالد باعتباره الدفاع المتحرك واحتياط الألوية والجيش الإسلامي كله، تُعدّ مناورة تكتيكية محدودة، لاستعادة التوازن على ميمنة جناح المسلمين وميسرتهم، لينقذ لواء عمرو بن العاص على الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان على الميسرة، ويردّ هجوم الرؤم الكثيف على قلب المسلمين، ولم يشنّ خالد هجومه المعاكس، إلا بعد أن تأكّد من أن الرؤم أصيبوا بخسائر كبيرة، وأنهم غير قادرين على القتال الهجومي، كان ذلك في آخر يوم من أيام المعركة، فتمكّن في هذا اليوم من زعزعة مواقع الرؤم، بهجوم جانبي عليهم، ولكن بعد أن فصلّ الخيالة عن المشاة، فجعلهم عاجزين عن القتال لوحدهم، ثم طرد مشاة الرؤم إلى زاوية الموت التي كانت بانتظارهم بين وادي الرقاد ونهر اليرموك، حيث كان خالد قد أرسل ضرار بن الأزور مع مفرزته، عند معبر الوادي، لئلا يهرب أحد من المنهزمين، من مطرقة خالد وسندان المنطقة الوعرة، أثناء شنّ خالد هجومه المعاكس الواسع من واجهتي اليرموك الشمالية والشمالية الشرقية، فهشمت مطرقة المسلمين جيش الرؤم الكبير على سندان وادي الرقاد، ونثرت أجسادهم في مخنق قاتل، ولعلّ خير ما يوضّح مشاهد معركة اليرموك في جميع مراحلها توضيعها على خرائط عسكرية تبين مواقع الألوية، وحركاتها في ساحات القتال، أبدع في ترسيمها الجنرال أكرم⁽¹⁶¹⁾.

لقد اختلف المؤرخون على تاريخ حدوثها⁽¹⁶²⁾، ولكنهم لم يختلفوا على مدة

أيامها ولا على نتائجها التي كانت تعدُّ وما زالت نؤزراً للإسلام، شهد على كثرة القتلى سهل اليرموك ومخاضة الواقوصة، وأسفل وادي الرقاد وعلائن، ومن ساحتها ارتفعت أرواح أربعة آلاف صحابي، تعانقُ الخلود، رضىةً هائلةً، تنظر إلى عدد لا يحصى من جثث القساوسة بين جثث الرُّوم يقبضون على صلبانهم بأيديهم، ينظرون إلى أمر الله تعالى فيهم وهو الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وكان هجومُ المسلمين المعاكس ليلاً وفي يوم لم يعرفه أواخرُ الرُّوم وأوائلهم⁽¹⁶³⁾.

واستثمر المسلمون الفوزَ فأرسل أبو عبيدة مفرزة لاحتلال دمشق ثم الحقهـم مع باقي جيشه وعسكر في منطقة جابية دمشق يوزع الغنائم⁽¹⁶⁴⁾.

أمّا القعقاعُ بن عمرو التميمي، فخلد هذه المعركة بقصيدة قافية من سبعة أبيات ندرجها أولاً تمهيداً لتحليلها ثانياً، قال⁽¹⁶⁵⁾:

كَمَا فُزْنَا بِأَيَّامِ الْعِرَاقِ	أَلَمْ تُرْنَا عَلَى الْيَرْمُوكِ فُزْنَا
مُحَرَّمَةَ الْجَنَابِ لَدَى التَّلَاقِ	فَتَخْنَا قَبْلَهَا بُصْرَى وَكَانَتْ
وَمَرَجَ الصُّقْرَيْنِ عَلَى الْعِثَاقِ	وَعِذْرَاءَ الْمَدَائِنِ ⁽¹⁶⁹⁾ قَدْ فَتَخْنَا
بِهِمَا بِهِمْ بِأَسْيَافِ رِقَاقِ	قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِينَا
عَلَى الْيَرْمُوكِ تَفَرُّوقُ الْوَرَاقِ ⁽¹⁶⁶⁾	قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تَسَاوَى
عَلَى الْوَاقُوصَةِ الْبِرِّ الرَّفَاقِ ⁽¹⁶⁷⁾	فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا اسْتَحَالُوا
إِلَى أَمْرِ يُفْصَلُ بِالزُّوْاقِ ⁽¹⁶⁸⁾	غَدَاةً تَهَافَتُوا فِيهَا فَصَارُوا

تتجلى من شعره عِدَّةُ صورٍ منها اندماجُ ذاتهِ بغيره من جنود المسلمين بدليل ضمير الجمع المتكلم عَشْرَ مَرَّاتٍ في هذه القصيدة (ترنا، فزنا، فُرْنَا، فَتَحْنَا، فَتَحْنَا، قَتَلْنَا، لَنَا، فِينَا، قَتَلْنَا، فَضَضْنَا) وتكراره فعلي فزنا وفتحنا، وقَتَلْنَا بمعدل مرتين لكل منها.

ومنها إبرازُه جوانبَ من سيرة المسلمين الحربية خاصة لواء العراق بدليل تفاخره في فتوحات المسلمين في اليرموك كما تفاخر بفتوحات المسلمين في العراق من قبل؛ وإن كان توظيفه ضمير الجمع المتكلم، يعادل به انتصارات المسلمين جميعاً في بلادي العراق والشام.

ومنها إبرازُه صورةَ فتوحاتِ المسلمين بالتسلسل الزمني، فتوحاتهم للعراق ثم للشام موجزاً في البيت الأول، ومفصلاً فيما بعده، فقد فتح المسلمون بُصْرَى قبل اليرموك، وهو إثبات آخر على حركة المسلمين إلى اليرموك لا إلى غيرها، وقبلها دمشق وقبلها مرج الصفرين، ثم عاد إلى تفصيل وقعة اليرموك، فذكر الواقوصة جزءاً منها، بعد أن ذكر الكلَّ "اليرموك".

ومنها تعيينُه الرُّومَ عدواً مهزوماً أمام المسلمين، تفرقوا في اليرموك شذراً مذبذباً،

ولم يَعدْ لهم قيمة بانهمز امهم يعادلون قيمة العملة الخسيسة المتفرقة، (البيت 5).

وتستوقفه المرحلة الأخيرة من صورة الرؤم المحشورين في الواقوصة التي أشرنا إليها، وصاروا طُعماً سهلاً للبتّر الرقاق بهجوم معاكس للمسلمين، فذاب الغش وانكشف الرؤم على حقيقتهم بعد تزويق.

وأبرزت قصيدته الخيلَ العناق ودورَ السيوف الرقاق، وقد نالت من رقاب الرؤم في ساح اليرموك، خاصة في هجومهم المعاكس على الرؤم في الواقوصة، وقد تَكَسَّرَتْ رقابهم، لتبعثرهم في جروف الواقوصة وما حولها من جداول وأنهار، وضغوطات نفسية أهلعتهم، بهجوم مزدوج ليلياً، وفي رواية -كما أسلفنا- في هجوم ليلي ضبابي فتهافتوا في الواقوصة مرعوبين، وبسلاسلهم يسحبون إلى هاوية الواقوصة التي كان لهم ضرار بن الأزور وجنده بالمرصاد يَدْعُونهم إليها دَعَاً، في كمينهم الذي أرسل خالد قبيل اليوم الأخير من نهاية المعركة.

وبقصيدته هذه ينهي القعقاع بن عمرو رضي الله عنه واجبه في بلاد الشام إذ ينتقل إلى العراق بأمر من الفاروق رضي الله عنه بعد أن تمَّ فتح دمشق للمرة الثانية بعد اليرموك برسالته لأبي عبيدة "أصرف جند العراق ومُرْهُمْ بالحثِّ إلى سعد بن أبي وقاص" فأمرَ أبو عبيدة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على جند العراق، وجعل على مقدمتهم القعقاع بن عمرو، فعجل القعقاع في مسيرته إلى العراق حيث وصل إلى القادسية في صبيحة اليوم التالي وهو يوم "أرماث" وهي المرحلة الثالثة من رحلة القعقاع الحربية، كما يعزها شعره رضي الله عنه ⁽¹⁷⁰⁾، ويؤرخ الطبري للقادسية سنة (14هـ) مما يدل على أن اليرموك وقعت سنة 13هـ وبعدها تحرك القعقاع إلى القادسية ⁽¹⁷¹⁾.

7. خاتمة

لعلّ من أبرز ما يمتاز به الدرس التاريخي أن يمتشجّ بما شهد به معاصروه، إن كانوا من صدقة القول والفعل، شأن القعقاع بن عمرو، شاهد عيان، وذرب اللسان، وحاد السنان، الذي رافق خالد بن الوليد في حملته من الحيرة إلى فحل بيسان.

لقد جلى بشعره محور حركة خالد بن الوليد من فراق إلى سبوى وهو يفوز في متاهات صحراء لمدة خمس مراحل بما يعادل مسافة (400) أربعمئة كيلو متر، في بدياء لا يرحم حرّها صيفاً ونهاراً، ولا قرّها شتاءً وليلاً، كما يصفها شاهد عيان، خاض غمارها بسيفه، قبل أن يصفها لسانه ببيانه، فاستوقفته معارك مرج الصفرين، وبصرى واليرموك، وفحل وغيرها، وبرزت شخصيته بلسانه أل "أنا" المتفاخر في ميدانها حيناً، وكما برزت شخصيته مندغمة في لسان الـ "نحن" في أحيان أخرى.

ومن شعره تُصحّح بعض الروايات التاريخية، ومحاور حركة الجيوش الإسلامية التي ما يزال الخلط يعتري سني أحداثها، مما يضفي أهمية خاصة على دراسة التاريخ من منظور أدبي والعكس صحيح، يتضام الأدب والتاريخ، خاصة إذا أضخنا إلى ما قاله شعراء صدق خاضوا غمار المعارك، كالقعقاع وصنوه من الصحابة أو سار غيره في الصدق على منهجه، بعد تحقيق قوله من شعر ونثر من الذين أنطقت الأحداث السنتهم قبل أن يؤرخ للأحداث مؤرخون ولدوا بعد مجريات الأحداث بقرنين من الزمان على أقل تقدير.

المصادر والمراجع

- أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الإسلام، دار الجبل، بيروت، 1988م.
- الأصفهاني، أبو الفرج: كتاب الأغاني، طبعة الساسي.
- أطلس الأردن والعالم: المركز الجغرافي الملكي الأردني، 2003م.
- أطلس الفتوحات الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- أكرم الباكستاني: سيف الله خالد بن الوليد - دراسة عسكرية - تاريخية عن معاركه وحياته، ترجمة العميد الركن صبحي الجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1988م.
- الأنطاكي، محمد: معارك حربية حاسمة - معركة القادسية، دار الشرق العربي، بيروت شارك في تحريرها الدكتور صالح الأشرر والاستاذ محمد الأنطاكي بإشراف صالح الأشرر. (د.ت).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاسبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م.
- ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992م.
- ابن كثير : مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
- ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت.
- ابن هشام: تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، مكتبة المعارف، دمشق، (د.ت).
- البكري، عبد العزيز: معجم ما استعجم، معارضة وتحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
- البلاذري؛ الإمام أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
- الجزري: عز الدين أبو الحسن: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب، الشعب.
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، تحقيق الدكتور فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- خطاب، محمود شيت (اللواء الركن): قادة الفتح الإسلامي (1) قادة فتح العراق والجزيرة، دار الفكر، ط2 (مزيدة ومنقحة) وط3، 1977م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

- السامرائي، عبد الجبار: معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، دراسة تاريخية عسكرية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط5، 1984م.
- سقوط المدائن، دار النفائس، بيروت، ط، 1987م
- شوقي أبو خليل (الدكتور): القادسية، بقيادة سعد بن أبي وقاص، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 1980م.
- شوقي أبو خليل (الدكتور): اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- شوقي أبو خليل (الدكتور): نهاوند، بقيادة النعمان بن المقرن المزني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 1980م.
- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت (د،ت) ودار المعارف بمصر.
- الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت.
- العسقلاني، شهاب الدين أحمد: كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، (ت،د).
- العقاد، عباس محمود: عبقرية الصديق، دار المعارف بمصر.
- عساكر، ابن عساكر: تهذيب ابن عساكر (تاريخ دمشق الكبير) تحقيق عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، دمشق، بيروت.
- العسلي، بسام: خالد بن الوليد، ط1، دار النفائس، بيروت، 1979م.
- فرج، محمد: الفتح العربي للعراق وفارس، تقديم أحمد الباقوري، دار الفكر العربي، 1966م.
- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، عالم الكتب، بيروت، (د،ت).
- القادسية، دار النفائس، ط7، بيروت، 1983م.
- القاضي، النعمان عبد المتعال: شعر الفتوح الإسلامية، في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ - 1965م.
- القرآن الكريم
- القيسي، نوري حمودي (الدكتور): شعراء إسلاميون، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م.
- كحالة، عمر رضا (الدكتور): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1991م.
- كمال، أحمد عادل:
- محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الإسلام، دار الجيل، بيروت، 1988.

- المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بتحقيق محمد محيي الدين عد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1403هـ - 1982م.
- الميداني، محمد أمين: القعقاع بن عمرو التميمي، فارس بني تميم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1978م.
- الندوي؛ أبو الحسن علي: السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط3، 1979م.
- الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- الدوريات
- الدكتور حسن الربابعة: حرب الحصون في فتوح الشام للواقدي.
- بحث منشور في مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج4، مجلد 46.

- (1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (باس).
- (2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (المصيخ).
- (3) الجنرال أكرم: سيف الله خريطة ص 337.
- (4) الأبر هو الذي يحالف عدوه ليستعين به على قوم آخرين، والأبر: (ابن منظور: لسان العرب).
- (5) قُرَاقِر: صاحب الصوت الحسن، (لسان العرب: قرقر).
- (6) البلاذري: فتوح البلدان، ص 118.
- (7) ابن الأثير: الكامل ج 256/2، والصواب هو "صندوداء" ونرجح أن يكون عدد جند خالد تسعة آلاف.
- (8) المصدر نفسه، ج 256/2.
- (9) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 603/2، أحداث سنة 13 هـ.
- (10) لبلاذري: فتوح البلدان، ص 118.
- (11) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، 256 كما وردت صندودة وهي خطأ عند الجنرال أكرم: سيف الله خريطة ص 337، وصوابها "صندوداء" (الحموي: معجم البلدان (صندوداء).
- (12) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة "الحُصِيد".
- (13) محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله: أيام العرب في الإسلام، ص 205.
- (14) المرجع السابق، ص 205.
- (15) البلاذري: فتوح البلدان، ص 118، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 256/2.
- (16) البلاذري: فتوح البلدان، ص 118.
- (17) محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله: أيام العرب والإسلام، ص 206.
- (18) البلاذري: فتوح البلدان، ص 118.
- (19) أقدنا من الجنرال أكرم: سيف الله ص 334-335.
- (20) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 335.
- (21) الطبري: تاريخ الطبري، ج 101/2.
- (22) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 257/2.
- (23) ابن الأثير: المصدر نفسه ج 257/2، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 165/3، دار المعارف بمصر، والبلاذري: فتوح البلدان، ص 118.
- (24) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة "المصيخ"، وانظر محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، خريطة حركة خالد من الحيرة، عين التمر، قُرَاقِر: سُوَى، ارك، تدمر القريتين.

- (25) سُوى: بضم أوله والقصر، بمعنى الغير والعدل، ويمد أحياناً سواء وهو اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة مرَّ به خالد لما قصد الشام من العراق (الحموي: معجم البلدان، سُوى ج3/308) وانظر: موقعه على خريطة الجنرال أكرم: سيف الله ص337، إذ تقع غربي نبع ماء وشرقي أرك.
- (26) أرك: بفتحين وضم، مدينة صغيرة بطرف برية حلب قرب تسمى، ذلت نخل وزيتون، من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة أرك، ج1/184).
- (27) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/258، والجنرال أكرم: سيف الله، ص355، الواقي: فتوح الشام، ص15.
- (28) الجابية: على ميلين من بلدة جاسم، وهي تقع إلى الغرب قليلاً عن خط جاسم - نوى (المسعودي، مروج الذهب، ج4/66) والجنرال أكرم: سيف الله، ص340، والبكري: معجم ما استعجم ج1/477 مادة بين الجوابي (فحول).
- (29) الجنرال أكرم: سيف الله ص355.
- (30) أطلس الأردن والعالم: المركز الجغرافي الأردني، 2003م، خريطة بلاد الشام، ص39، وتقع شرقي أرك (المصدر نفسه، خريطة الجمهورية العربية السورية، ص42).
- (31) الجنرال أكرم: سيف الله، ص355، ومحمد أمين الميداني: القعقاع بن عمرو، ص58.
- (32) المرجع نفسه، ص355، وتدمر، فتح وسكون وضم الميم مدينة مشهورة في برية الشام، (الحموي: معجم البلدان: تدمر) وتقع إلى الجنوب الغربي من (أرك) الخريطة، ص42.
- (33) الحموي: معجم البلدان، حَوَّارين وهي قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية. وموقعها إلى الجنوب الغربي من تدمر (الجنرال: أكرم: سيف الله، ص356، والخريطة رقم 337).
- (34) سَنِير بفتح أوله، وكسر ثانيه، وهو جبل بين حمص وبلبك وعلى رأسه قلعة سنير (ياقوت الحموي: معجم البلدان، سنير).
- (35) حَوَّارين: بفتح الحاء وضمها، وتشديد الواو وفتحها وهي من قرى حلب (الحموي: معجم البلدان، حوارين) والجنرال أكرم: سيف الله، ص356.
- (36) قَصَم بضم القاف وفتح الصاد غير المعجمة موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق (ياقوت الحموي: معجم البلدان، (قصم).
- (37) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/258.
- (38) البلاذري: فتوح البلدان، ص119، وأحسب أن البلاذري وهم في موقع قصم وهو غير متصل في سير معارك خالد، كما وهم من جهة أخرى بأن خالدًا أغار على دومة الجندل بعد أن فتح (أرك) فكيف يغير عليها وقد فتحها من قبل أن يسير إلى الشام. (البلاذري: فتوح البلدان، ص119).

- (39) مرج راطط بكسر الهاء موضع في الغوطة شرقي دمشق (الحموي: معجم البلدان، مرجع راطط وموقعها في الخرائط الحديثة شمالي شرقي دمشق (بسام العسلي: خالد بن الوليد، ط1، دار النفائس بيروت، 1979، ص11 (خريطة)).
- (40) ثنية العقاب: ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد دمشق إلى حمص. (الحموي: معجم البلدان، ثنية العقاب وانظر الجنرال أكرم: سيف الله، ص356، وعنده أن الثنية قبل مرج راطط).
- (41) البلاذري: فتوح البلدان، ص119.
- (42) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/ 258 سنة 13هـ.
- (43) الجنرال أكرم: سيف الله، ص257، ويدخل محمد الميداني: الققعاق بن عمرو آل التعريف على بصرى دون أن يشير إلى مصادره ولعله خطأ، ص59، وما بعدها.
- (44) الواقدي: فتوح الشام، القاهرة، 1954، ص138، والجنرال أكرم: سيف الله، ص ص 257-262.
- (45) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/ 258.
- (46) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5/ 497 مادة "اليرموك".
- (47) مرج الصفر: يمتد جنوباً من الكسوة التي تقع جنوبي دمشق بحوالي (12) ميلاً على الطريق الحالي المؤدي إلى درعا، وعند الطرف الجنوبي من الكسوة يوجد واد مفعم بالشجر، ومن هذا الوادي يمتد مرج الصفر باتجاه الجنوب (الجنرال أكرم: سيف الله، ص384) وسُمي بالأصفر لونه. وانظر موقعه جنوبي دمشق عند بسمّ العسلي، خالد بن الوليد، دار النفائس، ط1، ص110؛ ومرج الصفر (بتشديد الصاد والضم) مرج بدمشق (الحموي: معجم البلدان، مرج الصفر، ج5/ 118)..
- (48) بصرى: بالضم والقصر قصبة كرد حوران (الحموي: معجم البلدان، بصرى ج1/ 522).
- (49) الجنرال أكرم: سيف الله، ص357.
- (50) الجنرال أكرم: سيف الله، ص357.
- (51) أجنادين: بالفتح والسكون، والدال تفتح وتكسر بلفظ التنثية بين الرملة وبيت جبرين (الحموي: معجم البلدان، مادة أجنادين) وقعة حدثت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 13هـ قبيل وفاة الصديق بنحو شهر (الحموي: معجم البلدان، مادة أجنادين، ج1/ 129 رقمها 249، وانظر الواقدي: فتوح الشام، دار الجبل، ص66، وقعت ليلة ست خلت من جمادى الأولى سنة 13هـ قبيل وفاة الصديق بثلاث عشرة ليلة، وكتب وكتب خالد يعلم الصديق بالنصر (الحموي: الروض المعطار، ص12).
- (52) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد2/ 258-259.
- (53) تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، مجلد2/ 335، خبر اليرموك ومجلد2/ 447 يؤرخ لأجنادين سنة 15هـ، وتارة يؤرخ لأجنادين سنة 13هـ، لليلتين بقيتا من جمادى الأولى انظر مجلد2/ 347، وكان الطبري يدرج أحداثاً سلفت ويؤرخ لها من حيث ينبغي أن يؤرخ لها في حينه وليس بأثر رجعي شأن سنة 13هـ، يعود إلى حركة خالد من قرّاق إلى سوى وهو يتحدث عن

- وليس بأثر رجعي شأن سنة 13هـ، يعود إلى حركة خالد من قُرَاقِر إلى سُوى وهو يتحدث عن فتحهم بُصرى بعدها.
- (54) محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله: أيام العرب في الإسلام، ص 209-211، "يوم اليرموك".
- (55) بسام العسلي: خالد بن الوليد، دار النفائس، خريطة ص 110.
- (56) محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، خريطة دون رقم صفحة.
- (57) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، ص 65-66.
- (58) المصدر نفسه ص 66-67.
- (59) البلاذري: فتوح البلدان، ص 120-121.
- (60) المسعودي، أبو الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1982، ج 304/2.
- (61) الحموي ياقوت: معجم البلدان، مادة "أجنادين" ج 1/129.
- (62) المصدر نفسه: معجم البلدان، مادة اليرموك ج 497/5 وانظر محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله: أيام العرب في الإسلام، ص 209-211 "يوم اليرموك".
- (63) الحميري: الروض المعطار، ص 12.
- (64) الجنرال أكرم: سيف الله المسلول، ص 363 و 381.
- (65) اللواء محمود خطاب قادة فح العراق والجزيرة، دار الفكر، ط 2، 1977 خريطة في آخر كتابه بلا رقم وانظر خالد في الشام، ص 334-335.
- (66) أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، دار السلام، ص 12، رقم الخريطة (82).
- (67) ابن عساكر: تهذيب ابن عساكر (تاريخ دمشق الكبير) تحقيق عبدالقادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1/157.
- (68) يقصد بهما دمشق وتدمر ويقال أن تدمر بنتها الجن بأمر سليمان (الحموي: معجم البلدان تدمر).
- (69) يستهكم على جند الروم في دمشق بعد طحنهم كالرحى للحب، ويطلب من نساء الروم أن يجعلن المسلات الحامية وأمشاطهن في حلق رجالهن لجبنهم في الحرب، فعضوا أباهم ندماً على ما آل إليه مصيرهم في الحرب.
- (70) غزوات ابن حبيش، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 202/1-203.
- (71) أحمد عادل كمال: أطلس الفتوحات الإسلامية، ص 131.
- (72) غزوات ابن حبيش ج 1/204.
- (73) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 408، وانظر التفاصيل ص 405-417.
- (74) انظر هذه المحاورات عند الجنرال أكرم: سيف الله، ص 409.

- (75) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 417.
- (76) البلاذري: فتوح البلدان، ص 122، وعنده أن يوم مرج الصفر جنوبي دمشق - كان بعد عشرين يوماً من موقعة أجنادين ص 125.
- (77) وتوماس هو توما عند الواقي: فتوح الشام ص 70، وما يزال باب توما حتى الآن في دمشق.
- (78) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة "اليرموك".
- (79) غزوات ابن حبيش: ص 189.
- (80) الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج 2/153.
- (81) الجنرال أكرم: سيف الله، خريطة 390، تشير وغزوات ابن حبيش ج 1/204 ووقعت معركة مرج الصفر بعد عشرين يوماً من وقعة أجنادين (البلاذري: فتوح البلدان، ص 125).
- (82) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2/259-260.
- (83) المصدر نفسه، ج 2، 260.
- (84) الواقي: فتوح الشام، ك 58؛ الجنرال أكرم: سيف الله، ص ص 412-413.
- (85) فحل: بكسر الفاء وتسكين الحاء: موضع بالشام كانت فيه معركة حامية بين المسلمين والرُّوم بعد فتح دمشق، ويسمى يوم "الوحد" ويوم الردغة ويوم بيسان (الحموي: معجم البلدان، فحل، رقم 9046.
- (86) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 431.
- (87) غزوات ابن حبيش، ج 1/213.
- (88) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3/442-443، دار المعارف، مصر، وابن عساكر: تاريخ مدية دمشق، مجلد أول ص 2486، المجمع العلمي العربي بدمشق.
- (89) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 432.
- (90) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 433.
- (91) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3/442-443؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، مجلد 1/86؛ ومحمد أمين الميداني: القعقاع بن عمرو فارس بني تميم، ص 16؛ الحموي: معجم البلدان، مادة "فحل" ذكر أربعة أبيات منها.
- (92) لسان العرب: يسر، بمعنى يأخذ نصيبه في مجالات الحرب المتعددة، كجوز يوزع لحمه.
- (93) الماقط: الشديد في الحرب ومنه مقط عنقه - إذا كسرهما والمأقط: أضيق المواضع في الحرب، (لسان العرب: مقط).
- (94) معيّر عيَّاز: غير النصل وسطه، يتحدى مصمم النصول ومستخدميها (لسان العرب: (غير)، والردع: ماء وطنين ووحد شديد كثير (لسان العرب: ردّع).
- (95) الخيل العرب: العربية الأصلية التي تعرف بأصواتها (الزمخشري: أساس البلاغة، عرب، وأبر بمعنى: أهلك (لسان العرب: أبر).

(96) معلماً: مميزاً بعلامة.

(97) تَنْحِطُ: تزفر، والنحط صوت الخيل من الثقل والإعياء (لسان العرب: نحط) خوار: من خور وهو صوت السهم أيضاً (لسان العرب: خور).

(98) سلس: لين القياد، سلس المهر: إذا انقاد (لسان العرب: سلس) والميأس جمع ميسر وهو الجزور.

(99) البلاذري: فتوح البلدان، ص122، وانظر: الجنرال أكرم: سيف الله، ص432.

(100) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1/146.

(101) رياته: النظر والمنظر، (لسان العرب: رأي) يبدو منظره كالحأ مثل كر الأسد.

(102) بسر: قطب وجهه وكلح، (لسان العرب: بسر).

(103) فضّ: فرق (لسان العرب: فضض).

(104) ترّس: بمعنى الضرب والدفع والتردي، (لسان العرب: رّس وجرار صفة جيش جرار).

(105) جسوا: مسّوا (لسان العرب: جسّ).

(106) الماقت: أضيق المواقع في الحرب (لسان العرب: أقت) وهو موضع يقتتل فيه وهو ثقيل وخم من الرجال.

(107) كمي: الشجاع اللابس السلاح، وهو الذي لا يحيد عن قرنه (لسان العرب: كمي).

(108) القُرحة: الجراحة واراد ما نالهم من القتل والهزيمة (لسان العرب: قرح) والكامل صفة لمحذوف فرسه بمعنى ما زال يرميهم بغرة فرسه أي يقابلهم بوجهه.

(109) المبيح: الأسد (لسان العرب: يبيح).

(110) الواقي: فتوح الشام، ص165-166.

(111) تاريخ الرسل والملوك، بيروت، م337/2 سنة 13هـ.

(112) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/260.

(113) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (برموك) ج5/497، حديث في زمن أبي بكر الصديق وانظر مادة "الواقصة" عنده ج5/4008.

(114) البلاذري: فتوح البلدان، ص140، وما بعدها، وذكرها حيناً سنة 15هـ في رجب ص142.

(115) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج1/160.

(116) عبدالله البكري: معجم ما استعجم، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه مصطفى السقا، عالم الكتب، ج2/1393، مادة اليرموك.

(117) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2/259-260.

(118) غزوات ابن حبيش، ج1/181-182.

- (119) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5/497 "اليرموك" والواقعة ج5/408.
- (120) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، (مرجع سابق) ج1/160.
- (121) الجنرال أكرم: سيف الله، أنظر عنده (فتح حمص، وفحل، وما قبل اليرموك ومعركة اليرموك، والخرائط المعززة للموقعة وأسماء القادة واستمرت ستة أيام ص ص435-520، وانظر محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، دار الفكر، ط2، ص ص334-335.
- (122) الواقي: فتوح الشام، ج1/120 ومحمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ص334.
- (123) الكردوس: يماثل الكتيبة في تنظيم الجيوش الحالية، من 800 إلى 900 رجل (محمد الميداني: القحطاع بن عمرو، ص 69)
- (124) تاريخ الطبري، ج3/396.
- (125) تاريخ الطبري، ج3/398 (اليرموك) وغزوات ابن حبيش، ج1/296 "وقعة اليرموك" وقد وهم عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، وصناعاتها: الدار السودانية، الخرطوم، ط2، 1970 م، ج1/90، فنسب هذه الأبيات إلى عكرمة بن أبي جهل في اليرموك، والحق فقد قال عكرمة: (قد علمت بهكئة الجواري أني على مكرمة أحامي) المصدر نفسه لابن حبيش، ج1/296.
- (126) عرم: عرام الجيش، حدهم وكثرتهم وشدتهم، (لسان العرب: عرم).
- (127) وراد: لون يضرب إلى الحمرة والصفرة (لسان العرب: ورد).
- (128) الواقي: فتوح الشام، ص 48، 102، 126، وانظر الدكتور حسن الربابعة: حرب الحصون في فتوح الشام للواقي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج4/مجلد 46، ص 39.
- (129) شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني: كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، ج3/239-240، ورقم ترجمته للقحطاع هو 7126، وعنده خطأ طباعي "يدفعون" والصواب "يدعون" ليستوي الوزن والمعنى وانظر: النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية، ص 156.
- (130) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 449-505 والخرائط أرقامها 19-24 تشير معدلة ومرفقة.
- (131) الواقي: فتوح الشام، ص 106.
- (132) الجنرال أكرم: سيف الله، خريطة (19) تشير بعد تعديلها ص 454.
- (133) الواقي: فتوح الشام، دار الجبل، ج1/165.
- (134) الواقي: فتوح الشام، ص ص 126-130 (معركة اليرموك).
- (135) الجنرال أكرم: سيف الله، خريطة ترتيب القتال في اليرموك، ص (466) مرفقة ومعدلة توضّح.
- (136) انظر هذه الدراسة المرفقة معززة بالخرائط التي قدمها الجنرال أكرم: سيف الله، ص ص461-462 والخريطة الموسومة بـ "ترتيب القتال في اليرموك" رقم 20، ص 446.

(137) المرجع نفسه، ص 446.

(138) تاريخ الطبري، ج 3/100 والبلاندي: فتوح البلدان، تقديم رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 142، ووقعت في رجب سنة 15 هـ.

(139) البلاندي: فتوح البلدان، ليدن، 1892م، ص 141 وتاريخ الطبري، ج 3/75 والواقدي: فتوح الشام، ص 227 عدد قتلى الروم، تسعون ألفاً.

(140) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2/262 أحداث سنة 13 هـ، وقال الواقدي: فتوح الشام ص 226 ختم الله لأربعة آلاف مسلم بالشهادة في اليرموك، وانظر الجنرال أكرم: سيف الله، ص 503.

(141) من آل جفنة: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام، حضر اليرموك على مقدمة عرب الشام، كان أسلم ثم ارتد ثم انهزم الروم في اليرموك (الزركلي، خير الدين: الأعلام، مجلد 2/112).

(142) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، ج 2/186.

(143) الواقدي: فتوح الشام، ج 1/180 - 181.

(144) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 495.

(145) الواقدي: فتوح الشام، ص 128 والجنرال أكرم: سيف الله، ص 460.

(146) الواقدي: فتوح الشام، ص 176 - 177؛ وذكر في رسالته أن عدد الغساسنة كان ستين ألفاً.

(147) خمسة آلاف كما في رسالة أبي عبيدة إلى الفاروق (الواقدي: فتوح الشام، ص 177) وكان مراسله عبد الله بن قرط الأزدي.

(148) الواقدي: فتوح الشام، ص 202.

(149) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج 3/240.

(150) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد 2/336 سنة 13 هـ، وانظر أسماء قادة الكراديس الأربعين عند الدكتور شوقي أبو خليل: اليرموك بقيادة خالد، دار الفكر، بيروت، 1993م، ص 38 - 40 ومن فوائد الكراديس إعطاء المرونة للقادة وهو تعبئة جديدة ابتدعها خالد.

(151) محمد أمين الميداني: القعقاع بن عمرو، ص 69 ينقل عن الطبري ج 3/396 والبدايء والنهية لابن كثير، ج 7/4.

(152) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، مجلد 2/337، وغزوات ابن حبيش ج 1/296 وانظر موقع كتيبتيه وهو يطارد الروم نحو الشمال (الدكتور شوقي أبو خليل: اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، ص 13).

(153) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد 2/260 أحداث سنة 13 هـ.

(154) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، ج 1/215.

(155) المصدر نفسه، ج 2/216.

- (156) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 476.
- (157) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل ج 1/ 217.
- (158) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، ج 1/ 217 ويوم العيون (الجنرال أكرم: سيف الله، ص 485).
- (159) المصدر نفسه، ج 1/ 217، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2/ 262 سنة 13هـ أصيبت عين أبي سفيان.
- (160) محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله: أيام العرب في الإسلام، ص 213 " يوم اليرموك".
- (161) الجنرال أكرم: سيف الله، ص ص 446-447-480-484-493-498.
- (162) وقعت في رجب سنة 15هـ (البلاذري: فتوح البلدان، ص 142، دار الكتب العلمية)، واعتمد الجنرال أكرم على هذا التاريخ في دراسته (الجنرال أكرم: سيف الله، ص 459) وكثير من المؤرخين يدرجونها سنة 13هـ.
- (163) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة الواقصة، ج 5/ 408 حدثت الواقصة أيام أبي بكر الصديق، شدّ عليهم خالد فأخذ الرّوم يقتلون بعضهم بعضاً، وسقطوا فوق بعضهم في أهوية وهو يوم ذو صباب، وقيل كان بالليل، فكان آخرهم لا يعلم بما آل إليه أولهم، وسميت الواقصة من يومها لأنها وقصوا فيها واندقت أعناقهم فيها، لسان العرب، وقص.
- (164) الجنرال أكرم: سيف الله، ص 505.
- (165) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج 1/ 175، وعند الحموي: معجم البلدان، ج 5/ 418 مادة " الواقصة" البيت 1، 6، 7، وفي البيت 5 مفروق الوراق وفي البيت 6 البتر الرقاق والبيت 7 تعضل بالزواق.
- (166) عزراء المدائن: مدينة دمشق وعند محمد الميداني: القنقاع بن عمرو التميمي، ص 77-78 تفروق الوراق: تفروق النواة لحقارته على التشبيه.
- (167) تفروق الوراق: المال المفروق خسيس القيمة (الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مادة " ورق").
- (168) في البيت إقواء، وعند الحموي " البتر" وعند النعمان القاضي: شعر الفتوح، ص 156 فخصبنا جمعهم وهو خطأ لخروجه على أوزان الوافر.
- (169) الزروق والتزويق تحسين يُجعل مع الذهب فيطلى به، ويدخل في النار فيطير الزاروق ويبقى الذهب (الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة " زوق"). وقع خطأ طباعي في إملاء كلمة "الواقصة" في دراسة محمد الميداني: القنقاع بن عمرو، ص 78 إذ وردت عنده " الواقصة" فانكسر الشعر بها والصواب هو ما ذكرناه.
- (170) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 2/ 677 ومحمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ص 235-236.
- (171) تاريخ الطبري: مجلد 2/ 420 سنة (14هـ) معركة القادسية.

